الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الأنساق الثقافية في قصيدة ـبطاقة هويةـ للشاعر محمود درويش

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعـــداد الطـالـبات:

- الخنساء قدور
- سميرة معوش
- وفاء معوش

إشراف الدكتور:
علاء مداني

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
سعد مردف	الأستاذ الدكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيساً
علاء مداني	أستاذ محاضر- أ	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
سمية صالحي	الدكتورة	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مناقشاً

الموسم الدراسي: 1445-1446هـ / 2023م-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله تعالى الذي وفقنا ومنحنا القدرة على انجاز هذا البحث، نتقدم بأخلص عبارات الشكر والعرفان إلى:

إلى الأستاذ الفاضل الدكتور: "**علاء مداني**" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل، ووجدنا لديه كل الدعم والتوجيه، والنصح طيلة المدة التي استغرقناها لإنجاز هذا البحث، فزادكم الله من نوره تألقا ورفعة.

كما نشكر قامات العلم والمعرفة والمقام، أعضاء لجنة المناقشة الأساتذة الموقرين، على تكرمهم وتفضلهم بقبول تقييمهم ومناقشتهم لهذه المذكرة.

أخيرا لا ننسى تقديم الشكر لكل من قدم لنا التشجيع والمساعدة على إتمام هذه الدراسة من قريب أو من بعيد.

مقدمة

مقدمة

إن المتتبع لتاريخ النقد الأدبي العربي يجد أنه قد تأثر بعدة نظريات غربية في تحليل ونقد النصوص والخطابات، ومن هذه المناهج أو النظريات ما يركز على النص من الناحية البنيوية والشكلية، ومنهم من يركز على المتلقي، ومنهم من يركز على الأديب في حد ذاته أو بيئته، ومن هذه المناهج نظرية النقد الثقافي التي تعتمد على الأنساق الثقافية في نقد وتحليل النصوص وربط النص بسياقه التاريخي والثقافي، ويعد هذا الأخير شكل جديد للدراسات النقدية في الأدب العربي، المسلطة على كل أنواع الخطابات المكتوبة والمقروءة الرسمية و الشعبية، نثرا أو شعرا، باعتبارها خطابات تضمر في ثناياها أنساقا ثقافية منغرسة في الذهنية الثقافية للمجتمع. وفي هذا البحث سنتناول هذا المنهج وآلياته بشيء من الوصف والتحليل، وتطبيقه على نص شعري عربي معاصر، ألا وهو قصيدة "**بطاقة هوية**" للشاعر محمود درويش"

والهدف من بحثنا هذا التعرف على منهج النقد الثقافي، ومعرفة آلياته في قراءة واستنطاق النصوص ونقدها.

كما نسعى من خلاله إلى تطبيق آليات النقد الثقافي على قصيدة "بطاقة هوية " للشاعر الفلسطيني محمود درويش والكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة ذات الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية والتاريخية...الخ.

وعليه جاء عنوان بحثنا موسوما بـ: **الأنساق الثقافية في قصيدة _ بطاقة هوية _ للشاعر الفلسطيني محمود درويش**، وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب مختلفة أهمها:

- الغموض الذي يحيط بمنهج النقد الثقافي، باعتباره منهج غربي جديد.

- محاولة اكتشاف آلياته في تحليل النصوص وقدرتها على استنطاق النص الأدبي.

فكانت إشكالية البحث الرئيسية كالآتي: **ماهي الأنساق الثقافية التي تضمنتها قصيدة" بطاقة هوية " للشاعر محمود درويش؟.**

وتندرج تحت هذه الاشكالية أسئلة فرعية يجب الإجابة عنها في هذه الدراسة أهمها: ما هو مفهوم النقد الثقافي؟، وما ماهية الأنساق الثقافية؟ وكيف تجلت في قصيدة بطاقة هوية؟. وللإجابة عن الاشكالية المحورية لهذه الدراسة اتبعنا خطة مكونة من فصلين مع مقدمة وخاتمة.

وقد تناولنا في الفصل الأول ماهية الأنساق الثقافية، وهو الجانب النظري في موضوع البحث، فتطرقنا في المبحث الأول لمفهوم النقد الثقافي، مقسما إلى مطلبين، عرفنا في الأول النقد لغة واصطلاحا، وتناولنا في المطلب الثاني النقد الثقافي كمصطلح نقدي وحركة نقدية حديثة، والمبحث الثاني تناولنا فيه ماهية الأنساق الثقافية، مقسما بدوره إلى مطلبين، المطلب الأول تطرقنا فيه إلى مفهوم الأنساق الثقافية لغة واصطلاحا، وكمصطلح نقدي حديث، وتناولنا في المطلب الثاني أنواع الأنساق الثقافية وموضوعاتها.

أما الفصل الثاني فكان عبارة عن دراسة تطبيقية على قصيدة بطاقة هوية للشاعر محمود درويش تحت عنوان: تجليات الأنساق الثقافية في بطاقة هوية للشاعر محمود درويش، مقسما بدوره إلى مبحثين، حيث خص المبحث الأول للتعريف بالشاعر وقصيدته في مطلبين، أما المبحث الثاني فكان تطبيقا لآليات النقد الثقافي في هذه القصيدة تحت عنوان: تجليات الأنساق الثقافية في قصيدة "بطاقة هوية"، حيث قسمناه إلى مطلبين الأول فيهما تناولنا فيه الأنساق الظاهرة من القصيدة مرورا منه للمطلب الثاني لاستخراج الأنساق المضمرة فيها،

وللتوسع في هذه الخطة اعتمدنا على منهج التحليل الثقافي بآلياته والتي منها: آلية الوصف الذي مكننا من دراسة بعض المفاهيم ووصفها، منها النقد الثقافي والأنساق الثقافية،

كذا التعريف بالشاعر وقصيدته، مع استعمال المنهج التحليلي في تحليل القصيدة واستخراج مضمراتها الثقافية.

ولإثراء هذا البحث بالمادة المعرفية اللازمة اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع كان أهمها: ديوان "أوراق الزيتون" لمحمود درويش الذي نشرت فيه القصيدة لأول مرة، تمكنا من خلاله التعرف على القصيدة وعدد أسطرها، أما المراجع فكانت متنوعة أهمها:

النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية لعبد الله الغذامي.

النقد الثقافي مفهومه ومنهجه إجراءاته: اسماعيل حلياص حمادي- إحسان ناصر. ولقد ساعدنا هذين المرجعين في الدراسة النظرية للتعرف عن هذا المنهج والكشف عن آلياته وإجراءاته.

أما العراقيل والصعوبات التي واجهناها في هذا البحث أهمها: صعوبة مصطلحات هذا المنهج، وكذا صعوبة تطبيق آليات النقد الثقافي في الشعر العربي باعتباره منهج غربي حديث.

ورغم هذه الصعوبات فإن هذا العمل ضروري، لأنه لابد من معرفة منهج النقد الثقافي وآليات تطبيقه ولو بالشكل اليسير.

وفي الأخير نتوجه بأصدق عبارات الشكر والامتنان للدكتور الفاضل علاء مداني على كل ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات كانت لنا دعما لإنجاز هذا العمل على أكمل وجه، جعله الله ذخرا للعلم والمعرفة.

الفصل الأول: ماهية الأنساق الثقافية.

المبحث الأول: مفهوم النقد الثقافي

المطلب الأول: تعريف النقد الثقافي

المطلب الثاني: مفهوم النقد الثقافي

المبحث الثاني: ماهية الأنساق الثقافية

المطلب الأول: مفهوم الأنساق الثقافية

المطلب الثاني: أنواع الأنساق الثقافية وموضوعاتها

الفصل الأول: ماهية الأنساق الثقافية:

يعد مصطلح الأنساق الثقافية من أهم المصطلحات الشائعة والمهمة في الميدان الدراسات الثقافية والأدبية وبالأخص النقدية منها، ذلك أن النقد الثقافي يهتم بدراسة الأنساق الثقافية للنصوص والخطابات، ومنه لا يمكننا التطرق إلى ماهية الأنساق الثقافية دون أن نعرج إلى دراسة النقد الثقافي أو نظرية النقد الثقافي، إذ يعد الأب الروحي لهذا المصطلح (الأنساق الثقافية)، بحيث لا يمكننا دراسة الأنساق الثقافية في مَنْئَ عن نظرية النقد الثقافي باعتبارها المنشأ لنظرية الأنساق الثقافية.

المبحث الأول: مفهوم النقد الثقافي:

تعددت المناهج النقدية الأدبية التي سعت إلى محاولة تحليل العمل الأدبي، واستنطاقه وقراءته. ومن بين هذه المناهج أو النظريات النقدية نظرية النقد الثقافي التي ظهرت حديثا في أواخر القرن العشرين، وفي هذا المبحث سنحاول التعرف على هذا المنهج؛ من خلال تعريفه لغة واصطلاحا، والتعرف عليه كمصطلح نقدي، وكحركة نقدية حديثة.

المطلب الأول: تعريف النقد الثقافي:

يعد مصطلح النقد الثقافي من المفاهيم الحديثة والمعقدة في ميدان النقد الأدبي، كونه مصطلح مركب من مفهومين "النقد" و"الثقافة، وسنحاول في هذا الجزء من البحث إيجاد تعريف جامع لهما، من خلال التعرف على كلا المصطلحين من الناحية اللغوية والاصطلاحية، والجمع بينهما في تعريف اصطلاحي شامل.

أولا: تعريف النقد لغة واصطلاحا:

مصطلح النقد من المفاهيم التي ظلت محط اختلاف ونقاش منذ القدم سواء عند النقاد العرب أو الغرب، ولهذا سنقوم بالتعرف عليه لغة ثم اصطلاحا.

1 . النقد لغة:

تكاد تجتمع المعاجم اللغوية العربية حول مفهوم لفظة "نقد"، والذي يصب جله في أنه "ميز"؛ أي أخرج منه الزيف أو ما يعيبه، حيث جاء في لسان العرب لابن منضور في مادة "النقد" قوله: «نقد من النقد، ونقده ونقد المصرفي الدراهم؛ أي ميزها، إذ أخرج منها الزيف، وإذا أَنْقَدْتَ الناس نقدوك وإذا تركتهم تركوك، معنى أنقدتهم أي أعبتهم واغتبتهم، وقابلوك بمثله وهو من قولهم: نَقَدْتُ رأسه بأصبعي أي ضربته»[1].

2 . النقد اصطلاحا:

لقد وردت عدة تعريفات لهذا المصطلح "النقد" منذ القدم، قد تتطابق إلى حد كبير مع معناها اللغوي، ولعل أهمها ما قدمه "شوقي ضيف" في قوله: «النقد تحليل القطع الأدبية وتقدير مالها من قيمة فنية»[2].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ص: 521. 522.

[2] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي " النقد "، دار المعارف، ط5، القاهرة، ص: 9.

وتجدر الإشارة هنا أن المعنى الاصطلاحي للنقد لا يختلف كثيرا عن المعنى اللغوي إذ كلاهما يصبان في واد واحد وهو التمييز بين الرديء والجيد في الأشياء والأدب.

ثانيا: تعريف الثقافة لغة واصطلاحا:

يعد مصطلح الثقافة كذلك من أكثر المفاهيم تعقيدا وتشعبا من حيث المفهوم، فقد كان محط جدل وخلاف بين علماء اللغة والمختصين، وفي سبيل تحديد مفهوم النقد الثقافي لا بأس أن نعرج قبل ذلك على مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا.

1 . الثقافة لغة:

جاء لفظ "ثقف" في مواضع عدة في القرآن الكريم، ارتبط معناها اللغوي في الغالب بالحرب والقتال، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾ [1].

وقوله أيضا: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾2.

وكذا قوله: ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ**﴾[3].

وقوله كذلك: ﴿**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً** ﴾[4].

يبدو من هذه الآيات أن معنى ثقف هو: "وجد"، وظفر، وأظهر[5].

أما في معاجم اللغة فقد وردت مادة "ثقف" بمعاني متعددة مثل ما جاء في كتاب مقاييس اللغة "لابن فارس":(ثقف) الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشيء. ويقال: ثَقَّفْتُ القناة إذا أَقَمتَ عِوجَها. قال: نظر المثقفِ في كعوب قناته حتى يقيم ثِقَافُه منآدَها وثَقِفْتُ هذا الكلام من فلان.

ورجل ثَقِفٌ لَقِفٌ وذلك أن يصيب علمَ ما يسمعه على استواء. ويقال: ثَقِفْت به إذا ضفرت به. قال:

---

[1] سورة البقرة، الآية: 191.

[2] سورة آل عمران، الآية 112.

[3] سورة الأنفال، الآية: 57.

[4] سورة الممتحنة، الآية: 2.

[5] أنظر التفسير الميسر،.https://surahquran.com

فإما تَثْقَفُوني فاقتلوني *** وإن أُثْقَفُ فسوف ترون بالي.

فإن قيل: فما وجه قُرْبِ هذا من الأول؟ قيل له: أليس إذا ثَقِفَهُ فقد أمسكه.

وكذلك الظافر بالشيء يمسكه. فالقياس بأخذهما مأخذا واحدا[1].

ومن خلال ما قدمناه من هذا التعريف، يمكن القول: أن العرب قد استعملت مادة "ثقف" بمعاني متعددة، إما بمعنى وجد أو أدرك أو ظفر، وهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية السابقة، وإما الحذق وهو سرعة التعلم والفهم، وكذلك بمعنى الاستقامة والتسوية مثل: ثَقُفَ الرمح أي قومه (قومه وسواه).

2 . الثقافة اصطلاحا:

يعد "إدوارد تيلور"، أول من وضع أبسط تعريف للثقافة بقوله: «هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والأعراف وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضوا في المجتمع»[2].

مما سبق يمكن القول: أن الثقافة مجموعة الأفكار والعادات والتقاليد والعقائد والفنون والمعارف وغيرها من الأشياء، أو المعارف التي يكتسبها الانسان في حياته بصفته عضوا في المجتمع الذي يعيش فيه.

المطلب الثاني: مفهوم النقد الثقافي:

بعد معرفة كلا المصطلحين "النقد" و"الثقافة" في اللغة والاصطلاح، لابد هنا الجمع بين المفهومين ومعرفة المعنى الاصطلاحي لمصطلح النقد الثقافي ونشأته كحركة نقدية جديدة.

[1] – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، مادة: ثقف، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979، ص:382-383.

[2] سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي- إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، د ت، ص: 82.

أولا: مفهوم النقد الثقافي كحركة نقدية:

إن مصطلح النقد الثقافي من المصطلحات النقدية المحدثة، إذ يعد هذا الأخير تجربة رائدة في مجال الدراسات النقدية الحديثة، فكيف كانت بداياتها كحركة نقدية، سواء عند الغرب أو العرب.

1 . عند الغرب:

أ . الارهاصات الأولية لنظرية النقد الثقافي:

يعود ظهور أولى ممارسات النقد الثقافي في أوربا إلى القرن الثامن عشر، لكن تلك المحاولات المبكرة لم تكتسب سمات مميزة و محددة في المستويين المعرفي والمنهجي إلا مع بداية التسعينات من القرن العشرين، وذلك حين دعا الباحث الأمريكي "فينست ليتش" إلى "نقد ثقافي ما بعد بنيوي"، تكون مهمته الأساسية تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية والنقد الشكلاني الذي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية "الرسمية" و بالتالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة ولاسيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي[1]. ويطرح "فنيست ليتش" مصطلح النقد الثقافي مسميا مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدا ويجعله رديفا لمصطلحي "ما بعد الحداثة" أو "ما بعد البنيوية". حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغييرا في مادة البحث فحسب ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل إذ يستخدم المعطيات النظرية والمنهجية في سوسيولوجيا التاريخ والسياسة والمؤسساتية، من دون أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي[2].

ويرى "إيزا بيرغر":(Izza Berger): أن النقد الثقافي المقارن ولد (قبل تسميته) في كتابات: أدورنو، غرامشي، ميشيل فوكو، فرانز فانون، جوليان بيندا، رولان بارت، وغيرهم، قبل أن تظهر مصطلحات: النقد الثقافي، الدراسات الثقافية، والنقد السياسي، ومشتقاتها: دراسات الاستعمار، وما بعد الاستعمار، والنقد النسوي...وغيرها. ثم جاءت دراسات نقدية

[1] مسعود عمشوش،النقد الثقافي و النقد الأدبي، مقال، مأرب بريس.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربية، ط3، دار البيضاء، بيروت، ص:31.

تمثل تيارا قويا، انطلق من الفلسفة، ونظرية الأدب، والتاريخ: تيري إيجلتون، أنتوني إيستهوب، رايموند وليامز، جاك ديريدا، جيلس جن، جوليا كريستيفا، وغيرهم، إضافة لدراسات الاستعمار: إدوارد سعيد، سبيفاك، هومي بابا، وغيرهم. وفي منتصف الستينات، بدأ تيار النقد الثقافي المقارن، يتشكل ليصارع تدريجيا النقد الأدبي، متهما إياه بالانغلاق والنمطية الشكلانية[1].

وخلاصة القول أن النقد الثقافي، ظهر كمنهج نقدي ما بعد الحداثة، على يد الناقد الأمريكي "فينست ليتش"، و بعض كتابات النقاد الغرب قبل أن يظهر بصورته الحالية كاتجاه نقدي كامل المعالم.

ب . أعلام النقد الثقافي عند الغرب:

قدم "إيزابرغر"، قائمة إسمية بجغرافيا النقاد الثقافيين الغرب، في كتابه "النقد الثقافي"، حيث يرى فيها أن فرنسا وروسيا وألمانيا قد شاركوا بنصيب الأسد في تقديم العديد من نقاد النقد الثقافي وهم كالآتي:

1. فرنسا: رولان بارت، ميشيل فوكو، جاك لا كان، إميل دوركايم، جاك ديردا...
2. روسيا: باختين، فلاديمير بروب، شوكلوفيسكي...
3. ألمانيا: كارل ماركس، ماكس فيبر، يورجين هابرماس...
4. الولايات المتحدة الأمريكية: نعوم تشومسكي، رومان جاكوبسون...[2].

ومنه يمكن القول: أن النقد الثقافي هو نظرية نقدية حديثة ظهرت معالمها بوضوح في أواخر القرن العشرين، في كتابات عدة نقاد، أبرزهم "فينست ليتش" الذي يعد أول المنظرين لهذا المنهج.

[1] عز الدين مناصرة، النقد الثقافي المقارن منضور جدلي تفكيكي، وزارة الثقافة، ط1، عمان، الأردن، 2005، ص:231.

[2] أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، دار المجلس الأعلى للثقافة، ينظر ص:34-36.

2 . عند العرب:

لقد لقي النقد الثقافي عند النقاد العرب اهتماما كبيرا، تباين بين اتجاهين أحدهما مؤيدا لفكرة النقد الثقافي والآخر معارضا له، إلا أنه لقي حماسا أكبر كونه جاء قاتلا للنقد الأدبي الذي لم يكن محيطا بكل مفاهيم العصر وذلك حسب رأي منتقديه، على عكس النقد الثقافي الذي ارتبط بمختلف المجالات وجاء شاملا وواسعا لكل المفاهيم وهذا لارتباطه بمفهوم الثقافة.[1]

أ . بداياته:

انعكست هذه التجليات النقدية الحديثة، على الثقافة النقدية العربية المعاصرة، وهذا يقودنا إلى جهود الدكتور السعودي "**عبد الله الغذامي**"، اذ يعتبر أول من حاول تبني هذا المفهوم بمعناه الحداثي معتبرا اياه "آلية جديدة لقراءة النصوص"[2]، إذ يقول بذلك: «لقد آن الأوان لكي نبحث عن العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعرنة والتي يحملها ديوان العرب وتتجلى في سلوكنا الاجتماعي الثقافي بصفة عامة»[3].

كما يرى عدم جدوى النقد الأدبي في قراءة النصوص بقوله: «لقد أدى النقد الأدبي دورا هاما في الوقف على جماليات النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي مع هذا وعلى الرغم من هذا أو بسببه أوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النفسية المخبئة من تحت عباءة الجمالي»[4].

بهذا يكون الناقد السعودي "عبد الله الغذامي" من أوائل المنظرين لهذا المنهج في الأدب العربي مع شلة من المؤيدين لهذا الطرح الجديد في استنطاق النصوص.

---

[1] ياسين كني، عبد الله الغذامي ناقدا ثقافيا، حروف منثورة للنشر الالكتروني، 2016، ص:15.

[2] يوسف عليمات، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتاب الحديث، ط1، عمان، 2009ص:17.

[3] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة الانساق الثقافية العربية، المرجع السابق، ص: 7ـ8.

[4] عبد الله الغذامي، المرجع نفسه، ص: 7ـ8.

ب . أعلام النقد الثقافي عند العرب:

من أهم أعلام النقد الثقافي عند العرب، أو الذين أيدوا هذا الطرح، وكتبوا فيه هم على سبيل المثال:

- إدوارد سعيد: مفكر وناقد ومنظر ذو أصول فلسطينية (1935.2003) يعتبر كتابه "الاستشراق" أحد نتائج هذه المنهجية الدراسية.
- محمد عابد الجابري: له دراسات تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية سنة 1985.
- جابر عصفور: وذلك من خلال تناوله للكثير من القضايا النقدية التي تنشر شهريا في مجلة "العربي" الكويتية.
- إدريس الخضراوي: وذلك من خلال كتابه "الأدب موضوعا للدراسات الثقافية"
- مالك بن نبي: الذي نشر كتابا في عام 1959 بعنوان: "مشكلة الثقافة".
- عبد الله الغذامي: يعتبر أكبر النقاد العرب الذين تبنوا منهج النقد الثقافي، بل ذهبوا إلى حد تطبيقه على الثقافة العربية، وأهم كتبه في هذا المشروع النقدي "النقد الثقافي في قراءة الأنساق الثقافية العربية"[1].

من هذا نقول أن النقد الثقافي مثله مثل باقي النظريات والمناهج النقدية الغربية، لقي تأييدا على يد شلة من النقاد العرب، الذين عملوا على ترجمة الكتب الغربية وشرح بعض المصطلحات والأفكار المستعصية في هذا المنهج، محاولين وضع مصطلحات مرادفة له بالعربية والتنظير فيه، أمثال: عبد الله الغذامي وإدوارد سعيد.

ثانيا: مفهوم النقد الثقافي كمصطلح نقدي:

عرفنا فيما سبق أن هذا المصطلح أو هذا الطرح النقدي الجديد ظهر نتاج القصور الذي عرفه النقد الأدبي، وكذا النظريات الجمالية المختلفة على تعدادها وتنوع مشاربها، وأن الناقد الأمريكي "فنست ليتش" هو أول من أظهره وبرز فيه كمصطلح جديد بديلا عن النقد الأدبي، وكرد فعل على النزعة البنيوية، لكن لم نعرف حتى الآن معنى النقد الثقافي، وبماذا يعنى؟، لذا سنتطرق في هذه الجزئية إلى تعريفه عند الغرب والعرب.

[1] صورية جغبوب، النقد الثقافي: مفهومه – حدوده – وأهم رواده، مقال، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الأول، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة عباس لغرور، خنشلة، د ت، ص:34-35، بتصرف.

1 ـ مصطلح النقد الثقافي عند الغرب:

كما أشرنا سابقا أن النقد الثقافي ظهر في أوربا في أواخر القرن العشرين، إلا أنه في بداية الأمر كمصطلح قليل من سعى إلى الاهتمام به والبحث عنه، كما جاء في كتاب "دليل الناقد الأدبي" لميجان رويلي وسعد البازغي أنه: «ظل بعيدا عن ذلك القدر والمستوى من التعقيد والتنظير الذي أثر في تبلور اتجاهات أخرى، وما يزال بعض المعاجم المختصة لا يشير إليه»[1].

ومما يمكن الاشارة إليه أن "ليتش" نفسه حينما ألف كتابا عام:1992م لم يول هذا المصطلح اهتماما كبيرا كونه لم يضفه في مدخل كتابه "الدراسات الثقافية"[2].

وقد تناوله "آرثرايزا برجر"(Arthuris berger) حيث يعتبره في كتابه المسمى "النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية": «أن مصطلح النقد الثقافي يعد نشاطا وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته، فهو يرى أنه متداخل ومترابط ومتعدد، حيث نجده في مجالات مختلفة، ويشمل على نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، بإمكانه أيضا تفسير عدة نظريات مثل: (نظريات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظريات الماركسية...الخ»[3].

مما سبق نستنتج أن الغرب لم يولوا اهتماما كبيرا بشرح هذا المصطلح، ووضع تعريف دقيق له، وحتى "آرثر" فقد اهتم بتبسيط المفاهيم والأفكار للقارئ حول هذا النقد في كتابه "النقد الثقافي"، وجعل منه مفهوما عاما يمكن تطبيقه في جميع المجالات وليس في مجال النقد فقط.

---

[1] ميجان رويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، بيروت، 2002، ص:306.

[2] ريمة سمغولي، رميسة زرفة، الأنساق الثقافية في رواية الساق فوق الساق في ثبوت رؤية هلال العشاق لأمين الزاوي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، كلية الأداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019/2018، ص:12.

[3] آرثرإيزا برجر، المرجع السابق، ص:30.

2 ـ مصطلح النقد الثقافي عند العرب:

يعرف الغذامي النقد الثقافي بأنه: «فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثمة فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنى بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، وما هو غير رسمي وغير مؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء، ومن حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بكشف الجمالي كما شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي»[1].

وكما يرى الغذامي أن دور النقد الثقافي يكمن في كشف القبحيات التي تكمن في حركة الأنساق الثقافية التي تختبئ تحت أغطية البلاغة والجمال بقوله: «فكما أن لدينا نظريات في الجماليات فإن المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات لا بمعنى عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه، وإنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفاعليتها المضاد للوعي وللحس النقدي»[2].

ويعرفه يوسف عليمات بقوله أنه: «أبرز الاتجاهات النقدية في مرحلة ما بعد البنيوية حيث يحاول المحلل الثقافي أو الناقد التاريخاني بإعادة قراءة النصوص في ضوء سياقاتها الثقافية وظروفها التاريخية التي أنتجتها»[3].

ومن التعريفات السابقة نستنتج أن النقد الثقافي هو أحد علوم اللغة، معنى بتحليل النصوص والخطابات الرسمية وغير الرسمية (الشعبية)، واستخراج ما أمكنه من أنساق ثقافية مختبئة تحت جمالية الخطاب، والتي تعبر عن مرجعياتها التاريخية والثقافية.

المبحث الثاني: ماهية الانساق الثقافية:

رأينا سابقا أن النقد الثقافي يشتغل على تحليل النصوص والخطابات، ويعمل على تبيان أبعادها الثقافية والاجتماعية والفكرية والتاريخية، غايته من ذلك معرفة ما تخبئه النصوص من أنساق ثقافية، فما المقصود بالأنساق الثقافية؟.

---

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة الانساق الثقافية العربية، المرجع السابق، ص: 83-84.

[2] عبد الله الغذامي، المرجع نفسه، ص: 84.

[3] ينظر: يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجا، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2012، ص:27.

وفي هذا الجزء سنتطرق إلى ماهية الأنساق الثقافية تعريفها، أنواعها، موضوعاتها.

المطلب الأول: مفهوم الأنساق الثقافية:

إن مصطلح الأنساق الثقافية يعد من أهم المصطلحات الشائعة في ميدان الدراسات النقدية الحديثة وبالأخص النقد الثقافي، ولمعرفة معنى هذا المصطلح لابد من التطرق إلى تعريفه لغة واصطلاحا ومن ثمة التعرف عليه كمصطلح نقدي في الدراسات النقدية الحديثة.

أولا: تعريف الأنساق:

فيما سبق وبالضبط في المبحث الأول تم التعرف على مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا، وعرفنا أن الثقافة اصطلاحا هي مجموعة الأفكار والعادات والتقاليد والعقائد والفنون والمعارف وكل الأشياء التي يكتسبها الانسان في حياته بصفته عضوا في مجتمعه.

بقي الآن أن نعرف الأنساق لغة واصطلاحا حتى يتسنّى لنا معرفة المعنى الاصطلاحي لمصطلح الأنساق الثقافية.

1ـ الأنساق لغة:

قد تم ذكر مادة "نسق" في عدة معاجم ولعل أوضحها ما ورد في "مقاييس" بن فارس بقوله: «النون والسين والقاف، أصل صحيح يدل على التتابع في الشيء، والكلام نسقٌ؛ جاء على نظام واحد، قد عُطف بعضه على بعض، وأصله قولهم ثَغْرٌ نَسَقٌ، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية. وخرز نسقٌ منظم...»[1].

وما نستنتجه من هذا التعريف لكلمة "نسق" على أنه ما كان على نَظْمٍ وَاحدٍ، وتلاؤم وتتابع؛ مشكلا نظاما واحدا.

2 . الأنساق اصطلاحا:

عرّف "خالد حوير الشمس" كلمة النسق بقوله: «هو عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة، وتبعا لهذا فإن كل ظاهرة أو شيء ما يعتبر نسقا ديناميا»[2].

[1] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، المرجع السابق، ص:420.

[2] خالد حوير الشمس، النسق الثقافي وأثره في البناء النصي النثري الصوفي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمان 2021، ص:14.

وعرفه "روكيش" هو: «عبارة عن مجموعة من العلاقات المنتظمة المستقرة بين أجزاء أو عناصر كل معين، وهذه العناصر تعمل سويًّا لتؤدي وظيفة محددة»[1].

من خلال هذين المفهومين المتمايزين نستنتج أن النسق في الاصطلاح يتطابق أو يقترب من المعنى المعجمي، ولهما معنى واحدة يكمن في أنه عبارة عن عناصر متماسكة ومترابطة تظهر في نظام واحد.

ثانيا: مفهوم الأنساق الثقافية كمصطلح نقدي:

بعد معرفة الأنساق الثقافية لغة واصطلاحا سنتطرق في هذا الجزء إلى تحديد مفهوم الأنساق الثقافية كمصطلح نقدي يعتمد عليه النقد الثقافي في تحليل النصوص والخطابات.

جاء تعريف النسق بأنه: «عبارة عن مجموعة من الترسبات تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص المختلفة، تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص، وهي حاضرة في فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية، وينجذب نحوها المتلقين دونما شعور منهم لأنها أصبحت تشكل جزء هاما من بنيتهم الذهنية والثقافية»[2].

وعرفه "ضياء الكعبي" بقوله: «كما يمكننا القول أن الأنساق الثقافية هي نظم systémes تكون كامنة في أي ثقافة من الثقافات، وتشمل هذه النظم جميع جوانب الحياة (العرق، الدين، الأعراف الاجتماعية، الشؤون السياسية، التقاليد الأدبية وعلاقات السلطة...)، فهذا النظم أو الأنساق لها صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الابداعي والفكري وطرائق تلقيه»[3].

كما يضيف في نفس السياق أنه: «لا يقتصر على الأدب الرسمي أو المعتمد في ثقافة ما، وإنما تتجاوز ذلك الأدب الغير الرسمي أو الغير معتمد (الأدب الشعبي)»[4].

---

[1] رعد مهدي رزوقي– جميلة عيدان سهيل، التفكير وأنماطه، ج2، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 2018، ص:194.

[2] اسماعيل حلياص حمادي– إحسان ناصر، النقد الثقافي مفهومه ومنهجه إجراءاته، مجلة كلية التربية، العدد:13، جامعة العراق العراق، 2013.

[3] ضياء الكعبي، السرد العربي القديم الانساق الثقافية واشكالية التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2005، ص:22–23.

[4] ضياء الكعبي، المرجع نفسه، ص:23.

نستنتج من كل هذه التعريفات أن الأنساق الثقافية: عبارة عن مجموعة من الموروثات الثقافية (الاجتماعية و الدينية و العادات و التقاليد و المعتقدات.....إلخ)، التي يكتسبها الفرد من بيئته، تكون كامنة في ذهنيته تظهر في خطاباته و أعماله الفنية و الأدبية.

المطلب الثاني: أنواع الأنساق الثقافية وموضوعاتها:

عرفنا فيما سبق أن الأنساق الثقافية هي عبارة عن ترسبات ثقافية تظهر من خلال الإنتاج الفكري والأدبي للفرد بقصد أو دون قصد منه، أما في هذا الجزء سنتعرف على أنواع هذه الأنساق ومدى أهميتها في التحليل الثقافي وأهم موضوعاتها.

أولا: أنواع الأنساق الثقافية:

يرى "ضياء الكعبي" أن الأنساق الثقافية: «نظم بعضها كامن وبعضها ظاهر في أي ثقافة من الثقافات»[1].

من هذا التعريف ومن خلال التعريفات التي سبقت نستنتج أن الأنساق الثقافية نوعان: أنساق كامنه(مضمرة)، وأنساق ظاهرة (منفتحة)، وسنأتي على تعريف هذين النوعين كل واحد على حدى، و بيان مدى أهميتهما في التحليل الثقافي.

1ـ الأنساق الظاهرة (المنفتحة، العامة، العلنية):

ونقصد به المعنى الظاهر للقارئ عندما يتناول المادة اللغوية للوهلة الأولى، إلا أنه يقصد به المعنى الظاهر الواضح للقارئ البسيط الذي يتناول المادة اللغوية من الجانب الظاهر اليسير لها[2].

ويضيف الغذامي إلى أن للسياق دوره كذلك في فهم النصوص الأدبية، في قوله: «فإن معرفة السياق وإدراكه عملية ضرورية جدا لتذوق النص الأدبي وتفسيره، فكل عمل أدبي يختلف عن غيره في خصائص اللغة المستخدمة داخل العمل الإبداعي .... وأن العديد من الأشخاص يتناولون النص بوصفه مقال دون النظر إلى سياق الكلام والموقف»[3].

---

[1] ضياء الكعبي، المرجع السابق، ص:22.

[2] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص:13.

[3] ينظر: عبد الله الغذامي، المرجع نفسه، ص: 14-15.

يمكننا القول من هنا أن النسق العلني لا يحتاج إلى التفكير والتدبير في النص، وإنما يفهم من القراءة الأولى للقارئ من خلال سياق الكلام، وكنموذج على النسق العلني فإن من ضمن النماذج الواضحة ما قاله الشاعر أبو تمام في ديوانه:

لا تنكر عطل الكريم من الغنى *** فالسيل حرب للمكان العالي.

فإن معرفة البيت يتطلب معرفة السياق الثقافي الذي قيل فيه، حتى لا يفهم معنى آخر، الأمر الذي قد يحرك الأخيلة والدخول في سياقات أخرى بعيدة عن النص[1].

كما يكمن دور النسق الظاهر في النقد الثقافي، كما قال بعض النقاد هو مجرد وسيلة وأداة لاستخراج ومعرفة الأنساق المضمرة، حيث يعتقد بعض النقاد أن النسق الظاهر تكمن أهميته في فتح الطريق لاكتشاف النسق المضمر[2].

2 ـ الأنساق المضمرة (المغلقة):

هو النوع الثاني من الأنساق الثقافية:

يعرفها "الغذامي" بقوله: «هو كل دلالة نسقيه مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة»[3].

كما يمكن تعريف النسق المضمرة وتحديد معناه ومدلوله من قولهم: «النسق المضمر هو طريقة يعبر بها الأديب عن ما يريد بعيدا عن مقصد الرقيب، إذ يمكن التدخل بالنسق دون ملاحظة من الرقيب الثقافي المؤسساتي ... وتتخذ من المضمر النصي وسيلة للإفصاح عن المكتوب المعارض للنسق المهيمن»[4].

ولعل أدق تعريف هو تعريف "خالد حوير الشمس" له بقوله: «أقصد بالنسق المضمر المؤلف المخفي المتحكم في صناعة النص والمترسب في ذاكرة المنشئ، وتكوينه الثقافي،

---

[1] سلام رحال، أنواع الأنساق الثقافية، مقال، موقع الموضوع: https://mawdoo3:com.

[2] لعمري عزيزة، بيطام مريم، الأنساق الثقافية في ديوان جرس السماوات تحت الماء، مذكرة لنيل شهادة الماستر، أدب حديث ومعاصر، كلية الأداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021، ص:21.

[3] عبد الله الغذامي– عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، ط1، 2024، ص:33.

[4] فلاح محمد محمود، الشخصية في ضوء مجموعة العشب القصيصة لأنور عبد العزيز، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2020، ص: 36.

ولولاه لما وجد النص، وبعد أن يوجد من الطبيعي أن يتم تشذيره بالجمالي فيكون أيضا نصا متماسكا ومحكما يراعي القيم الاستعمالية في السياق»[1].

من هنا نفهم أن النسق المضمر هو ما خفي فيما بين سطور النص أو الخطاب، وهو كل مالم يرد الافصاح عنه علانية، كما أنه كل الترسبات الثقافية والاجتماعية المتخفية في الثوب الجمالي للنص، والذي تكون إحدى علاماته اندفاع الجمهور لاستهلاك المنتوج الثقافي المنضوي على هذا النوع من الأنساق.

كما اهتم الغذامي بالنسق المضمر كثيرا كونه يمثل جمالية خاصة للنص الروائي أو الشعري في قوله: «النسق المضمر يهدف إلى ربط الأدب بسياقة الثقافي في غير المعلن كون النقد الثقافي يتعامل مع النص والخطابات على أنها رموز جمالية ومجازات تشكيلية موحية، بل أساسا أنها أنساق ثقافية مضمرة تعكس مجموعة من السياقات الثقافية والتاريخية والسياسة والاجتماعية...»[2].

وتكمن أهمية هذا النوع من الأنساق بالنسبة للنقد الثقافي في كونه يعتبر ركيزة أساسية في ميزان النقد الثقافي، وذلك لأن الأنساق المضمرة في النصوص الأدبية وخاصة الشعرية منها تشكل حجر الزاوية للنقد الثقافي إذ تشتغل المنظومة النقدية الثقافية في كل تنظيراتها على نظرية الأنساق المضمرة[3].

ومنه يمكن القول أن النسق المضمر هو نسق مركزي يتخفى تحت أقنعة كل ما هو جميل وجمالي، ففي كل ما هو جميل يوجد خلفه نسق مضمر، إذا فالنسق الجمالي البلاغي في الأدب يخفي أنساقا ثقافية مضمرة.

---

[1] خالد حوير الشمس، المرجع السابق، ص:95.

[2] جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، المكتبة الشاملة الذهبية، ط1، 2006، ص:15.

[3] اسماعيل حلياص حمادي _ إحسان ناصر، المرجع السابق، ص:19.

ونستخلص أن العلاقة بين النسق الظاهر والمضمر، أن الظاهر هو وسيلة يعبر من خلالها الناقد الثقافي إلى صلب النص، غايته في ذلك الكشف عن الأنساق المضمرة؛ التي وجدت من أجلها نظرية النقد الثقافي والأنساق الثقافية.

نموذج عن النسق المضمر: إن خير مثال نتحدث فيه عن المعنى المضمر في الأنساق الثقافية هو الشعر، فحينما أراد أبو ذؤيب أن يمدح المرأة؛ من باب إعطاء الاحترام والقيمة لها قال:

وأصبحت أمشي في ديار كأنها *** خلاف ديار الكاهلية عور.

ومن معاني (العور) هو انكشاف الستر، فكان يقصد بأن الأرض الخالية من النساء أرض مكشوفة، وتصبح عورة لغياب المرأة، إلا أن هذا الكلام عزّز صورة الموؤودة لدى قبيلة الشاعر الذين أخذوا البيت بمعنى آخر؛ يقصد أن الأرض الخالية من وأد النساء تبقى فارغة[1].

ثانيا: موضوعات الأنساق الثقافية:

تعددت موضوعات الأنساق الثقافية بتعدد موضوعات الثقافة، منها الاجتماعية والايديولوجية، الدينية، وفيما سيأتي سنذكر أهم موضوعاتها.

1-النسق الاجتماعي:

النسق الاجتماعي كيان مركب يشتمل على الكثير من النظم والجماعات والأدوار والوظائف والعلاقات والروابط، وتعتبر فكرة النسق هنا أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي[2].

ويرى "بارسونز" المنسق الاجتماعي: «أن النسق الاجتماعي هو عبارة عن مجموعة كبيرة من الفاعلين الذين تقوم بينهم علاقات تفاعل اجتماعي في موقف معين، قد يتخذ

[1] سلام رحال، المرجع السابق.

[2] محمد عبد المعبود موسى، علم الاجتماع عند تالكوتيار سونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي دراسة تحليلية نقدية، مكتبة العليقي الحديثة، ط1، ص:102.

مظهرا فيزيقيا أو بيئيا، ويتجهون نحو تحقيق الاشباع الأمثل لحاجاتهم، كما تتحدد علاقاتهم الاجتماعية عن طريق بناء ثقافي مميز ومجموعة من الرموز المشتركة[1].

نفهم منه أن النسق الاجتماعي كيان مركب من مجموعة نظم تتفاعل مع الأنساق الاخرى المشتركة معه كالثقافة والشخصية والتاريخ والسياسة، ويهتم بتفاعل الأفراد فيما بينهم وما يتولد عليه.

2-النسق السياسي:

يعد النظام السياسي من النظم الاجتماعية التي توجد في كل المجتمعات التقليدية أو الحديثة لكونه يتضمن عملية الضبط الاجتماعي لأن تحقيق الضبط هو وظيفة هذا النسق السياسي وتحدد بوجوبه علاقات أفراد المجتمع مع بعضهم البعض، أن نضع الحقوق والواجبات اتجاه السلطة فضلا عن وظيفته في الدفاع عن أفراد المجتمع وحقوقهم وملكيتهم ضد المعتدين سواء أكان من أبناء مجتمعهم أم من أبناء المجتمعات الأخرى[2].

نفهم من هذا أن النسق السياسي؛ يقصد به النظام السياسي، وما يتولد عنه من آثار على نفسية وذهنية الفرد في هذا المجتمع، والتي تظهر من خلال أعماله.

3-النسق اللغوي:

بما أن اللغة لفظ ومعنى يحمله اللفظ، فإن أي دراسة لغوية لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأنواع التعبير، والنسق اللغوي هو أحد أنواع الأنساق المتعددة، يقول "عبد العزيز حمودة": «العلم الذي يجمع الأنساق المختلفة للعلامة، أو ما يحلو للبعض تسميته علم الأنساق هو السيموطيقا، والنسق اللغوي هو واحد فقط من هذه الأنساق»[3].

---

[1] محمد عبد المعبود موسى، المرجع نفسه، ص:103.

[2] محمد صخري، مفهوم النسق السياسي، مقال، تاريخ النشر:29-03-2021، للدراسات السياسيةPOLITICS-DZ.

[3] مبارك بحير- محي الدين شيتور، الأنساق الثقافية في شعر تميم البرغوثي قصيدة "في القدس" نموذجا، مذكرة تدخل في متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2022، ص: 59.

ويضيف "عبد العزيز حمودة" قائلا: «وتجدر الإشارة هنا إلى أننا نتحدث عن العلامة المفردة صامتة أو مكتوبة وأن النسق اللغوي يبدأ حينما يتم الربط بين هذه الوحدات المفردة داخل نسق هو الجملة الكاملة أو مجموعة من الجمل قلت أو كثرت، هي الأنساق الصغرى التي تكون في اتحادها نسقا أكبر هو النص، وهذا نسميه في نهاية الأمر بالنظام اللغوي».

نفهم من هذا إن الحديث عن النسق اللغوي هو حديث عن العلامة، أو علم العلامات، وأن الجملة التامة مع مجموعة جمل أخرى تامة مكتوبة أو منطوقة تعتبر أنساق صغرى مترابطة مع بعضها البعض مشكلة بذلك أنساقا كبرى، ألا وهي النص أو الخطاب.

وبما أن وظيفة اللغة هي إيصال المدلول إلى المتلقي، قد تعتمد على مستويات صوتية ومعجمية ودلالية، وهو ما يعكس ارتباط هاته الأنظمة اللغوية هو ما يجسد تركيبة نسقية اللغة أو المنسق اللغوي، فالقصيدة لا تستمد تراثها من لغتها فحسب بل من بنيتها وما تولده من انزياحات تركيبية وتصويرية وإيقاعية، ولعل أبرز ما يشدنا في جسم القصيدة هو النسق اللغوي ...بما أنه الركيزة الأساس التي تهيء لاستقبال الجمل الشعرية، فقد عده الباحثون مفتاحا لسبر أغوار النص و لتعمق في شعابه التائهة، كما أنه الأداة التي بها يتحقق إتساق النص[1].

[1] مبارك بحير– محي الدين شيتور، المرجع السابق ص:59–60.

الفصل الثاني: تجليات الأنساق الثقافية في قصيدة بطاقة هوية.

المبحث الأول: التعريف بالشاعر محمود درويش وقصيدته "بطاقة هوية".

المطلب الأول: التعريف بالشاعر محمود درويش.

المطلب الثاني: التعريف بقصيدة "بطاقة هوية".

المبحث الثاني: تجليات الأنساق الثقافية في قصيدة بطاقة هوية.

المطلب الأول: الأنساق الظاهرة في قصيدة "بطاقة هوية".

المطلب الثاني: الأنساق المضمرة في قصيدة "بطاقة هوية".

الفصل الثاني: تجليات الأنساق الثقافية في قصيدة بطاقة هوية:

تطرقنا فيما سبق إلى المفاهيم الأولية للنقد الثقافي، التي انبثق من خلالها مصطلح الأنساق الثقافية، كما عرفنا هذا الأخير، وتناولنا أنواعه وموضوعاته في الشق النظري من هذا البحث. وفي هذا الجزء سنحاول تطبيق آليات النقد الثقافي على قصيدة "بطاقة هوية" للشاعر محمود درويش للكشف عن ما تضمر من أنساق ثقافية.

المبحث الأول: التعريف بالشاعر وقصيدته:

نقسم هذا المبحث بدوره إلى مطلبين، سنخصص الأول للتعريف بالشاعر "محمود درويش"، والثاني للتعريف بقصيدته.

المطلب الأول: التعريف بالشاعر "محمود درويش":

أولا: مولده ونشأته:

1- مولده:

ولد محمود درويش في 13 مارس 1941[1]، وهو الابن الثاني لعائلة تتكون من خمسة أبناء وثلاث بنات، في قرية البروة في فلسطين[2]، والابن لأكبر في هذه الأسرة هو أحمد، وكان أحمد مهتما بالأدب، وقد بدأ حياته بالكتابة الأدبية ثم توقف حيث انشغل بعمله كمدرس، وعن أحمد الابن الأكبر أخذ محمود درويش بدايات اهتمامه بالأدب، وفي أسرة محمود أيضا شقيقه الثالث زكي وهو كاتب قصة من الكتّاب الشبان المعدودين في الأرض المحتلة، ولا يوجد بين أفراد الأسرة من يهتم بالأدب غير هذين الأخوين أحمد وزكي.

فالأب فلاح فلسطيني كان يملك بعض الأراضي في قريته (البروة)، وهو الآن يعيش في قرية (جديدة) ولا يملك شيئا، واسم الأب "سليم درويش"، أمّا الأم فهي من قرية (الدامون) وكان والدها "أديب البقاعي" مختارا أي عمدة لقرية الدامون، وهذه الأم سيدة فلسطينية لا تقرأ ولا تكتب[3].

وفي عام 1948 لجأ إلى لبنان، وهو في السابعة من عمره وبقي هناك عاما واحدا، عاد بعدها متسللا إلى فلسطين، بقي في **قرية** (دير الأسد) لفترة قصيرة استقرّ بعدها في قرية

---

[1] رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، ط2، د ت، ص:95.

[2] سامر محي الدين، روائع من قصائد محمود درويش (حياته وشعره)، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص:17.

[3] رجاء النقاش، المرجع نفسه، ص:110.

(جديدة)[1]، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة (الأنروا) في مخيم (الدامون) في لبنان، وأكمله بعد عودته في مدرسة (دير الأسد) متخفيا، أما تعليمه الثانوي فتلقاه في قرية (كفر ياسين)[2].

2- معاناته مع الاحتلال:

دخل محمود درويش سجون إسرائيل أكثر من مرة، وكانت المرة الأولى سنة1961، وكان عمر الشاعر آنذاك عشرون سنة، وجاء السجن الثاني لدرويش سنة1965، وقضى مدة السجن الثاني في سجن(الرملة)، حيث كتب معظم قصائد ديوانه الثالث "عاشق من فلسطين" داخل السجن.

وما بين 1956-1967 سجن الشاعر مرة ثالثة عندما حامت حوله شبهة النشاط المعادي لإسرائيل، وفي هذه المرة انتدبت له المحكمة أحد المحامين، وحاول المحامي أن يقول: أنه يعتذر باسم محمود درويش عن المخالفة التي ارتكبها الشاعر ويعد بأن لا يكررها، وسأل القاضي محمود درويش رأيه فيما يقوله المحامي فأجابه بأنه المحامي يعبّر عن وجهة نظره، ولكنني لا أعترف بما يقول ولن أردد هذا القول أو أأيده أبدا، وحكمت المحكمة على الشاعر بغرامة قدرها مائتي ليرة إسرائيلية[3].

ويواجهنا سؤال لماذا لم يهجر محمود درويش أرض الوطن السليب مثلما فعل غيره من الشباب الفلسطيني، وتتمثل الإجابة على ذلك في تأثير أبيه عليه، فكثيرا ما كان يلح عليه بالمكوث في الوطن، وعدم التخلي عن الأرض التي عاش وولد فيها، حتى كلما تسرب اليأس إلى قلبه وظن أن لا خلاص من المغتصب الصهيوني الذي أخذت أعداده تتزايد سنة عن سنة، يتردد في الخروج ويتراجع ولقد أشار الشاعر إلى هذا التأثير الأبوي عليه بالقعود وساق ما قاله له أبوه بصريح القول في قصيدته " أبي":

وأبي قال مرة

الذي ماله وطن

---

[1] ينظر: رجاء النقاش المرجع السابق، ص:110.

[2] سامر محي الدين، المرجع السابق، ص:13.

[3] ينظر: رجاء النقاش، المرجع السابق، ص110-112.

ماله في الثرى ضريح

..... ونهاني عن السفر.

لهذا اقتنع محمود دروش برأي أبيه وعاش متحملا القهر وعذابات السجون وعشرات من السنين[1].

3- أهم المناصب التي شغلها:

محمود درويش شاعر صحفي ومحررا نظم لحزب (الرّكة) الشيوعي عام1961 بالأرض المحتلة، وكان محرر جريدة الحزب (الاتحاد) سنة1982، لم يسلم من مضايقات الاحتلال، حيث اعتق 3 مرات منذ عام1961، بعدها اختار المنفى إلى القاهرة سنة1971، ثم انتقل منها إلى بيروت حتى سنة1982، حيث عمل فيها في مؤسسات للنشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، بعدها أختير رئيسا لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين سنة1987، سافر بعدها إلى باريس حيث أصبح رئيسا لمجلة (الكرمل) في نيقوسيا، وأقام في باريس ولندن قل عودته إلى وطنه، حيث أنه دخل الأراضي المحتلة بتصريح لزيارة أمّة، وفي فترة وجوده هناك قدم بعض أعضاء الكنيست العرب واليهود اقتراحا بالسماح له بالبقاء في وطنه، وفي عام1993 استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجا على اتفاق (آسلو)[2].

4- وفاته:

توفي درويش في الولايات المتحدة الأمريكية، يوم السبت التاسع أوت 2008، بعد إجرائه لعملية القلب المفتوح في المركز الطبي في (هيوستن)، التي دخل بعدها في غيبوبة أدت إلى وفاته بعد أن قرر الأطباء نزع أجهزة الإنعاش ووري جثمانه الثرى في 13 آب في مدينة رام الله.

[1] حيدر توفيق بيضون، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1991 لبنان، ص:23.

[2] سامر محي الدين، المرجع السابق، ص:13-14.

شارك في جنازته آلاف من الفلسطينيين رغم الحواجز التي تقطع أراضي الضفة الغربية، وتم نقل جثمانه في جنازة مهيبة إلى رام الله حيث دفن، ليقام له صرح ضخم معروف باسم "حديقة البروة" أو متحف محمود درويش[1].

ثانيا- أهم أعماله:

تنوعت أعمال الشاعر محمود درويش بين الشعر والنثر وهذا ما سيتضح في العنصرين التاليين:

1- مؤلفاته الشعرية:

كتب درويش الشعر مبكرا، حيث كانت أولى محاولاته في سن السابعة، وفي الثانية والعشرين ذاع صيته بقصيدتي "بطاقة هوية" وقصيدة "أمّي".

ارتبط جل شعر محمود درويش بالقضية الفلسطينية التي يعيش معها في كل لحظة من حياته، وهذا ما سنلمسه في دواوينه الشعرية التي أصدرها ابتداء من1960 على النحو التالي:

- أوراق الزيتون1964.
- عاشق من فلسطين1966.
- آخر الليل1967.
- أزهار الدم.
- أغنيات إلى الوطن.
- العصافير تموت في الجليل1969.
- حبيبتي تنهض من نومها1970.
- أعراس دار العودة1977.
- مديح الظل العالي1983.
- حصار لمدائح البحر1984.

[1] ينظر مريم مساعدة، تاريخ وفاة محمود درويش، مقال، تاريخ النشر:28يونيو 2018، موقع الموضوع: .https://mawdoo3:com

- هي أغنية هي أغنية1986.
- ورد أقل1986.
- أرى ما أريد1990[1].

2- مؤلفاته النثرية:

وله مؤلفات أخرى نثرية وهي:

- شيء عن الوطن.
- يوميات الحزن العادي1973.
- ذاكرة للنسيان1987
- وداعا أيتها الحرب - وداعا أيها السلم1974.
- في انتظار البرابرة2987
- في وصف حالتنا 1987.
- الرسائل1990.....[2].

3- الجوائز المتحصل عليها:

وحصل درويش على العديد من الجوائز العربية والعالمية:

- جائزة "لوتس" عام1969.
- جائزة "البحر المتوسط" عام1980.
- جائزة لوحة "أوربا للشعر" 1981.
- جائزة "ابن سينا" في موسكو 1982.
- جائزة "العويس الثقافية"2004...[3].

المطلب الثاني: التعريف بقصيدة "بطاقة هوية":

[1] ينظر: محمود درويش، الديوان (الأعمال الأولى)، ج1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2005، ص:7-12.

[2] الويكيبيديا، موقع إلكتروني.

[3] ينظر: مريم مساعدة ، المرجع السابق.

إنها القصيدة التي كانت سببا في شهرة صاحبها، والتي جابت الأرض دون اكتراث لحدود بشرية، حتى أنها ترجمت لعدة لغات، من بينها اللغة العبرية، فقصيدة "بطاقة هوية" تحدثت عن اشكالية الهوية، هذه الاشكالية التي ترسخت في كل أشعار محمود درويش، وكانت همه الشاغل في هذه الحياة.

أولا: ظروف كتابتها ومدى تأثيرها في العامة:

1-ظروف كتابتها:

كان درويش قد كتبها بعد حادثة وقعت معه في وزارة الداخلية الإسرائيلية، فقدم طلبا للحصول على بطاقة هوية، وحين سأله الموظف الإسرائيلي عن قوميته رد محمود: "عربي"، فكرر الموظف السؤال على نحو مستنكر، فرد عليه محمود: "سجل أنا عربي"، ومن هذه الحادثة انبثقت القصيدة، هكذا حكى محمود في إحدى مقابلاته، ويضيف: "قلت له مجددا، وكان الحوار يجري بالعبرية: "سجل أنا عربي"، خرجت من عند الموظف وأعجبني الإيقاع فبدأت في رأسي بتدوين القصيدة قبل أن أكتبها على قصاصة ورق في الباص في طريقي إلى البيت[1].

ويشكك "زكرياء محمود" في مطلع القصيدة أنه لم يكن جملة "أنا عربي" بل جملة "طبعا عربي" بقوله: «لكن لدي وثيقة تشير أنه ربما كانت هناك مسودة أولى للقصيدة لم تكن نحو جملة "سجل أنا عربي" بل جملة "طبعا أنا عربي" لكن يبدو أن محمود نسي ذلك، وظن أن القصيدة كتبت دفعة واحدة من دون مسودات التي أتحدث عنها بعنوان "كاريكاتور" وهي تقول: «درويش، مطلوب للفحص الطبي

جنسك....

طبعا عربي».

ومن المحتمل أن المسودة هي التي كتبها في الباص بعد الحادثة .... وفي هذه الحال تكون الجملة الموقعة "سجل أنا عربي" قد انبثقت بعد وصوله إلى البيت لم تكن جملة "طبعا

[1] ينظر: مجلة نزوى، حوار مع محمود درويش، تاريخ النشر 01 يناير 2002، تاريخ الاطلاع 01 ماي 2024، الساعة: 10 صباحا، nizwa.com.

عربي" لتوافق الغرض. لم تكن تملك إيقاعا متماسكا قادر على الإمساك باللحظة، المعنى ذاته في الجملتين فوق ذلك، فكلمة "سجل" جعلت المعنى يبدو مختلفا، فهي أمر إثبات إشارة بالسبابة كي يثبت القول ويصير وثيقة»[1].

2-مدى تأثيرها في العامة:

كان محمود درويش معجبا بهذه القصيدة لكنه كان يدرك بشكل ما أن فيها مشكلة أو أن فيها ما يجعلها بين الشعر واللا شعر. ثم جاءت أمسية 1963 في الناصرة وهناك قرأ محمود عدة قصائد، فصفق له الجمهور بشدة وطلب منه أن يقرأ قصائد أخرى، لكن حسب قوله: لم يكن لديه إلا ورقة "سجل أنا عربي" في جيبه فأخرجها من جيبه وقرأها، ولم يكن يدري حين بدأ بقراءتها أنه يفجر قنبلة نووية: «وحدث ما لم أكن أتوقعه شيء يشبه الكهرباء شاع في الجو إلى حد أن الجمهور طلب مني إعادة القصيدة ثلاث مرات».

وكانت تلك الأمسية حدثا حاسما في مسار "محمود درويش الشعري"، بل في مسار الشعر الفلسطيني أيضا.

يتحدث محمود درويش في هذا الصدد في مقابلة أجراها مع "مجلة نزوى" 2002 قائلا: «من قرر أن هذه قصيدة هم الناس وليس أنا هم الذين قالوا لي: هذا شعر».

وهنا محمود درويش يلتقط في هذه الجمل الحقيقة التي طبعت الشعر الفلسطيني من منتصف الستينات إلى منتصف الثمانينات على الأقل، حقيقة أن الشعر لم يكن في ذلك الوقت صناعة فردية فقط، بل صناعة جماعية، فالناس الذين مستهم الكهرباء هم الذين قرروا أن "سجل أنا عربي" شعر حيث التقط محمود في هذه القصيدة "مكبوتا بسيطا جدا" عند الناس وعبر عنه فاندمج الشاعر بالجمهور واندمج الشعر بالناس.

فقد قدر لهذه القصيدة أن تعيش حياة جديدة، ففي عام1967 انفجرت القصيدة كقنبلة مرة ثانية حيث كان العرب كلهم منذلين مهانين وكانوا يبحثون عن من يقنعهم أنهم ليسوا كلابا ضالة، وهنا انبثقت لهم قصيدة "سجل أنا عربي" وانتشرت مثل قدحة نار في الهشيم[2].

---

[1] ينظر: زكرياء محمد، مقال –سجل أنا عربي–، القصيدة التي طاردت صاحبها، مؤسسة الدراسات العلمية، تاريخ النشر، الخميس 09 آب 2018، تاريخ الاطلاع 01 ماي الساعة 10:00 صباحا، ss-foundation.com

[2] ينظر: زكرياء محمد، المرجع السابق،.

ثانيا: شرح القصيدة وجوها العام:

كتب الشاعر محمود درويش قصيدة "سجل أنا عربي" لأول مرة عندما كان عمره 15 سنة، إثر حادثة وقعت له في إحدى الإدارات الرسمية الإسرائيلية، ة وهي من أشهر قصائد ديوانه الثاني "أوراق الزيتون" الصادر عام1964، تحتوي على 66 سطرا شعريا، تتوزع على ستة مقاطع، وهي من الشعر الحر، الذي يعتمد على نظام السطر والتفعيلة الواحدة.

1-شرح القصيدة:

هذا النص تحت عنوان "بطاقة هوية" كان عبارة عن صيحة لشاعر عانى من ويلات الترحيل والتهميش في بلده، فعبر عن ذلك في معظم قصائده، فكانت هذه القصيدة عبارة عن حجاج يحاول فيه إثبات وحماية هويته المفقودة والمهمشة من طرف الآخر، وهذا ما يظهر في جل أسطر القصيدة بقوله:

-شرح الأبيات من 1-6.

سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم.. سيأتي بعد صيف!

فهل تغضب؟[1].

يبدأ درويش المقطع بفعل الأمر للجندي الذي أمامه، وينتهي بالاستفهام، ليُظهر الواقع اليومي لحياة الفلسطيني في ظل الاحتلال؛ لأنّ العربي يحاول دائمًا حماية هويته الفلسطينية التي يحاول الاحتلال أن يطمسها، ثم يبدأ بعرض عد أفراد أسرته الذي يزداد للدلالة أنّ الفلسطينين لن ينقرضوا، بل هم في ازدياد[2].

-شرح الأبيات من: 7-17.

[1] محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008، ص: 47.

[2] ينظر: أسماء أبو حديد، تحليل قصيدة أنا عربي، مقال، 2023/08/22، http://mowdoo3.com.

سجل

أنا عربي

وأعمل مع رفاق الكدح في محجر

وأطفالي ثمانية

أسِلُّ لهمْ رغيف الخبز

والأثواب والدفتر

من الصخر

ولا أتوسل الصدقات من بابك

ولا أصغر

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب؟[1].

يكرر الشاعر هنا أسلوب الأمر والاستفهام، إلا أنه في وسط المقطع يصف الفقر الذي يعيشه الفلسطيني، من خلال وصفه مشقة تحصيل رغيف الخبز من خلال الكدح في المحجر والحفر في الصخر، بينما يتنعّم المحتل بخيرات بلاده المسروقة.

مع ذلك لا يقبل الفلسطيني الصدقة والتسول على باب المحتل حتى ليؤمّن أبسط احتياجاته، بل يتساءل إن كانت عزّة نفسه تُغضب المُحتلّ[2].

- شرح الأبيات من: 18-35.

سجل

أنا عربي

أنا اسم بلا لقب

صَبورٌ في بلادٍ كلُّ ما فيها

يعيش بفَوْرة الغضب

[1] محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، المرجع السابق، ص: 47.

[2] ينظر: أسماء أبو حديد، المرجع السابق.

جذوري

لا من سادةٍ نُجُبِ

وجدي كانَ فلاحًا

بلا حسب.. ولا نسب!

يُعَلّمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب

وبيتي كوخ ناطورٍ

من الأعواد والقصب

فهل ترضيك منزلتي؟

أنا اسم بلا لقب![1].

يطغى على هذا الجزء الغضب من محاولة نزع الفلسطيني من تراثه وهويته التاريخية مهما كان فقيرًا، تاريخه الذي بدأ مع بداية الخليقة، وهنا يؤكد الشاعر أنَّ ميلاد العدو حديث ولا يربطه بالأرض شيء، أما الفلسطيني فهو قديم بعمر شجر السرو والزيتون ولا يخجل من العمل في أراضيه بالفلاحة. يؤكد أنّ الدفاع عن الأرض وأحقيتها لا يرتبط بالحسب أو النسب، بل إنّ الكوخ البسيط من الأعواد والقصب يُعلّم الشاعر الشموخ قبل أن يُعلّمه قراءة الكتب، ويتساءل الشاعر باستنكار في نهاية المقطع عن منزلته البسيطة التي لا ترضي العدو![2].

شرح الأبيات من: 37-48.

سجل

أنا عربي

ولون الشعر.. فحمي

ولون العين.. بني

وميزاتي:

[1] محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، المرجع السابق، ص: 48.

[2] ينظر: أسماء أبو حديد، المرجع السابق.

على رأسي عقال فوق كوفيه

وكفّي صلبة كالصخر

تخمش من يلامسها

وعنواني:

أنا من قرية عزلاء منسيّة

شوارعها بلا أسماء

وكلّ رجالها في الحقل والمحجر

فهل تغضب؟[1].

يعود الشاعر إلى أسلوبي الأمر والاستفهام. ويتحدّث بينهما عن شكل العربي المميز بشعره الأسود، ولون عينيه البني، ولباسه الشعبي (العقال والكوفية)، وكفوفه الخشنة نتيجة العمل في الأرض.

يصف أيضًا القرية المعزولة التي لا أسماء لشوارعها، دلالة أنّ كل فلسطيني يعرف أرضه وطريقه دون الحاجة إلى أسماء الشوارع، وأن كل سكانها يعملون في الزراعة أو المحجر؛ أي أنهم كلهم يعيشون حياة بسيطة، ويختم المقطع باستفهام استنكاري من غضب المحتل من كل الأشياء الاعتيادية[2].

شرح الأبيات من:49-62.

سجل!

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

وأرضًا كنتُ أفلحُها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا.. ولكلّ أحفادي

[1] محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، المرجع السابق، ص: 48-49.

[2] ينظر: أسماء أبو حديد، المرجع السابق.

سوى هذه الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم.. كما قيلا!؟

إذن

سجّل.. برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكرة الناس

ولا أسطو على أحدٍ

ولكنّي .. إذا ما جعتُ

آكل لحم مغتصبي

حذار.. حذار.. من جوعي

ومن غضبي![1].

يبدأ الشاعر المقطع بالأمر مثل المقاطع السابقة، ويُصوّر بغضب شديد سرقة المحتلين الأراضي التي يفلحها الفلسطينيون، ولم يتركوا لهم سوى المحاجر الخالية من الخيرات للعمل بها، وحتى المحاجر لم يتركوا فيها إلا الصخور التي لا تنفع حتى المحتلين.

يأمر المحتل من جديد أن يسجل أنه مع كل ذلك لا يكره الناس ولا يُفكر في السرقة أو السطو لتعويض خسائره مثلما سطا الاحتلال على الأراضي الفلسطينية، وفي النهاية يتوعد المحتلين بأنه سيتحوّل إلى وحش كاسر ويأكل لحم محتليه، ووحشيته ردّ فعل طبيعي على وحشيّة المحتل، وطريقة دفاع مشروعة ولا يملك غيرها[2].

كانت هذه القصيدة بمثابة حجاج شديد اللهجة يحاول فيه الشاعر ترسيخ هويته المسلوبة و المهمشة من طرف الآخر المستعمر، وذلك من خلال إثبات انتمائه العربي بسرد صفاته الخلقية والخلقية التي تتميز بها الجنات العربية الأصيلة، المتميزة بالصبر والصلابة

[1] محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، المرجع السابق، ص:49-50

[2] ينظر: أسماء أبو حديد، المرجع السابق.

رغم الواقع السياسي والاجتماعي الذي تعانيه من جراء انتمائها لهذه العروبة، مثبتا ملكيته لهذه الأرض من قبل ميلاد الآخر، بل حتى قبل بداية التأريخ.

2-جوها العام:

قصيدة "أنا عربي" عبارة عن حجاج مفتوح مع الآخر (العدو الإسرائيلي)، في نص مترابط ترابط الروح العربية، كأنه لحمة واحدة، غرضه الفخر والاعتزاز بعروبته، حيث يسعى الشاعر فيها إلى إيصال الأفكار الأساسية الآتية لعدوه:

- تعريف بالشاعر وأصله العربي، وحالته المدنية والعائلية.
- أن مصدر رزقه العمل في المحجر مع رفاقه الكادحين.
- أن زمان ومكان ولادته وولادة أجداده، هو أرض فلسطين.
- يبين انتمائه العربي بذكر أوصافه الخلقية، وهي لون العينين ولون الشعر، وتمسكه وتفاخره بزيه التراثي.
- يقيم في قرية معزولة منسية شبيهة بالبادية، يمتهن سكانها ، الفلاحة في الحقول أو في المحاجر.
- يكشف الشاعر حقيقة الآخر الغاصب والمُحتلّ لأرضه وأرض أجداده التي ستستمر ملكيتها لأحفاده.
- يهدد الشاعر كل من سولت له نفسه سرقة أو اغتصاب أرضه وقوته، بأنه سيتحول إلى وحش يأكل لحم مغتصبه.

المبحث الثاني: تجليات الأنساق الثقافية في قصيدة "بطاقة هوية":

بعد ما عكفنا في المبحث الأول من هذا الفصل على التعريف بالشاعر "محمود درويش" وقصيدته "بطاقة هوية"، سنعمد في هذا المبحث على تشريح هذه القصيدة واستقصاء منها ما أمكن من أنساق ثقافية مختلفة، سواء كانت تاريخية أو اجتماعية أو سياسية أو حتى لغوية، بغية إظهار مدلولاتها واكتشاف معانيها الخفية من خلال ما تظهر وتضمر من أنساق. وذلك بتخصيص مطلب للأنساق الظاهرة وآخر للأنساق المضمرة.

المطلب الأول: الأنساق الظاهرة في قصيدة "بطاقة هوية":

تحمل بطاقة هوية عدة أنساق ظاهرة للقارئ، فمنها ما يتصل بذات الشاعر، ومنها ما يصف الوضع الاجتماعي له وانتمائه السياسي، إضافة إلى جذوره التاريخية، ففي هذا المقطع سنحاول توضيح هذه الأنساق كالاتي:

أولا- الأنساق الشخصية والذاتية الظاهرة:

يظهر من خلال قراءة هذه القصيدة أن الشاعر قدم تعريفا لشخصه كونه عربي يحمل بطاقة هوية رقمها خمسون ألف، ولديه ثمانية أطفال وتاسعهم سيأتي بعد الصيف، وذكر أنه اسم بلا لقب بمعنى؛ أنه إنسان بسيط لا يملك الألقاب والشهرة، أباه وجده من أسرة المحراث (فلاح) لا من سادة النّجب وكفه صلبة كالصخر تخمش كل من يلامسها من خدمة الأرض، كما ذكر أوصافه الخَلْقية من لون شعره الأفحم والعينين البنيتين، وهي صفاتان تميز الجنس العربي.

أما أوصافه الذاتية (الأخلاقية): أنه صبور في بلاد كل ما فيها يعيش بفورة الغضب (تكثر فيها الثورات والانتفاضات)، وأنه لا يكره الناس ولا يسطو على أحد لكنه لا يرضى بالظلم والاضطهاد بقوله:

ولكني ... إذا ما جعت

آكل لحم مغتصب

حذار... حذار ... من جوعي

ومن غضبي!![1].

ثانيا – الأنساق الاجتماعية الظاهرة:

يبرز النسق الاجتماعي الظاهر بوضوح في وصف حالته الاجتماعية ومحيطه الاجتماعي كعربي بمواصفات مميزة، من ملابس تقليدية ذات العقال والكوفية، من قرى فقيرة لها اعتقادات اجتماعية ودينية بأن كثرة الأولاد زيادة في الرزق، ويشتغل في الفلاحة والمحاجر مع رفاق الكدح، يعاني كدح العيش، يسلّ قوت أطفاله بشق الأنفس، رغم ذلك لا ينقص من كرامته، فلا يشحذ ولا يتذلل لعدوه، يعيش في كوخ بسيط من أعواد ومن قصب في قرية عزلاء منسية ليست متمدّنة، شوارعها بلا أسماء كل رجالها يعملون في الحقل والمحجر يحبون الشيوعية كنظام اجتماعي يدعو للتعاون والترابط والوحدة فيما بينهم.

فهذه المعلومات الواردة في القصيدة تبدي لنا صورة حقيقية عن المجتمع العربي.

ثالثا: الأنساق السياسية والتاريخية:

تتجلى الأنساق السياسية في هذا الخطاب في كونه ذو قومية عربية صلبة، من عامة الشعب لا يعرف الكره والحقد لكنه لا يحب الظلم. أرضه مسلوبة ومغصوبة (مستعمرة)، شيوعي التوجه، يطمع دائما للوحدة والتغيير إلى الأفضل، والنضال ضد سياسة التمييز العنصري والاضطهاد الذي يمارسه المغتصب الصهيوني ضد المثقفين العرب.

أما الأنساق التاريخية فتظهر جلية في قوله:

...جذوري

قبل ميلاد الزمان رست...الخ.

بهذا يؤكد أن جذوره التاريخية، أو أن الوجود العربي في فلسطين وشبه الجزيرة قبل بداية التاريخ، بل وحتى قبل تعميرها، ونفهم من ذلك أن أول من عمّر هذه الأرض وشبه الجزيرة هم العرب، لكن هذه الأرض تمت سرقتها من أجداده ولا زالت تسرق وتستنزف من الحكومة الصهيونية.

[1] محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، المرجع السابق، ص:49-50

كل هذه الأنساق الظاهرة السابق ذكرها تشكّل البنية الأساسية للقصيدة، ويمكن من خلالها الكشف عن المضامين السياسية والاجتماعية والتاريخية المضمرة التي تحملها.

المطلب الثاني: الأنساق المضمرة في قصيدة "بطاقة هوية".

قصيدة "بطاقة هوية " في الظاهر هي فخر للشاعر بعروبته، ووصف للحالة المزرية التي يعيشها عرب فلسطين في أرضهم جراء الممارسات التي يمارسها المغتصب الغاشم، لكنها تحوي داخلها دلالات ضمنية عكس ما تظهر، هذه هي الرسالة التي حاول درويش إرسالها مضمرة وراء أنساق النص الظاهر بدء بموضوع القصيدة ثم لغتها.

أولا: الأنساق الموضوعية:

حوى موضوع القصيدة عدة دلالات سياقية تعرب عن أنساق سياسية وتاريخية مضمرة كونت الخلفية الثقافية للشاعر ويمكن رصدها من خلال القراءة الثقافية للعنوان ثم متن القصيدة.

1-الأنساق الثقافية المضمرة على مستوى العنوان:

يعبر العنوان عن مضمون القصيدة، إذا يعدّ مفتاحها الذي يدخل من خلاله القارئ إلى عالم القصيدة مهتديا بأثره للكشف عن معاني القصيدة ومضمراتها، وهو ما نقرأه في "بطاقة هوية"، حيث يتكون العنوان من كلمتين نكرتين، في حين أن بطاقة الهوية في الواقع وثيقة رسمية قانونية تعرف بصاحبها في الإدارات الرسمية.

فهذا التناقض في شكل العنوان ومضمونه فإن دل فإنما يدل على هوية مفقودة وضائعة من صاحبها، أو أن صاحبها يعاني التهميش، ولذلك ورد العنوان نكرة، كما يوحى أنه ينطبق على مجموعة أوسع أو فئة أكبر من الناس أو القضايا بدلا من هوية محددة، كما قد يحمل عنوان القصيدة دلالات متعددة منها ما يتعلق بمركزية موضوع الهوية، وهو الاختزال والتبسيط لموضوع القصيدة، كما يمكن القصد منه جلب انتباه المتلقي.

2 – الأنساق الثقافية المضمرة على مستوى المتن:

يعد النص الشعري واقعة ثقافية، مليئة بالأنساق الثقافية المضمرة، تعبر عن الخلفية الثقافية للشاعر وبيئته، وسنشرع في استخراج هذه المضمرات التي تنضوي تحت متن القصيدة كالآتي:

أ- نسق الهوية:

هو أحد أهم الأنساق الثقافية البارزة في قصيدة "بطاقة هوية"، ويمكن رصد تمظهراته من خلال الصراع بين الأنا والآخر، وفي هذه القصيدة يمكن رؤية هذه الثنائية بين الأنا والآخر، من خلال طرح السؤال التالي: من هو الشخصية (أنا) العربي المعني به؟ ومن هو المخاطب الذي خاطبه العربي؟

أ -1- صورة الأنا:

نقصد بـ"الأنا" هي "أنا" الشاعر نفسه، أو المتكلم في القصيدة، قد تكون ضمنية وقد تكون ظاهرة في اسم أو ضمير ظاهر، كما في هذه القصيدة استفتح الشاعر قوله بلفظة "سجل أنا عربي" فأخذت موقع الابتداء في بداية بعض مقاطعها ليشد إليه انتباه الآخر أكثر، عبر عنها بالضمير (أنا)، وهي علامة تدل على أنّ الشخصية (أنا) لا تمثل الشاعر نفسه، بل تمثل العربي الفلسطيني بشكل عام، الذي عانى بانعدام الهوية في أرضه، وتتشكل صورة الأنا من خلال عدة عناصر وهي:

– الاسم والهوية الشخصية: يعرف الشاعر بنفسه من خلال اسمه الشخصي وبطاقة هويته ويذكر صفاته الخُلقية والخَلّقية وبيئته، مما يبرز أهمية الهوية الفردية للإنسان.

– الانتماء والموطن: يتحدث الشاعر عن انتمائه وموطنه بوصف قريته والتحدث عن جذوره التاريخية مؤكدا بذلك حقه في العيش والوجود في هذه الأرض.

– الكرامة والصمود: يؤكد الشاعر على كرامته الشخصية وصموده في مواجهة الظروف القاسية مما يعكس شخصيته وإصراره على البقاء، وهذه أهم مميزات الشخصية العربية.

من خلال هذه العناصر تتشكل صورة "الأنا" في بطاقة هوية كشخصية متمسكة بهويتها وانتمائها العربي ومصرة على البقاء والاستمرار رغم التحديات، كما يرى أحمد شلبي في مقال له عكس هذه الرؤيا بقوله: «كما تظهر المفارقة في بنية أخرى تكررت داخل النص هي "أنا عربي"، والتي بدورها أخفت نسقا خلف طريقة الفخر بالعروبة؛ فالفخر بالعرب مرتبط بالجمع العربي بعيدا عن الفردية التي يتسم بها ضمير المتكلم (أنا) خاصة أن الفخر بالعروبة من ناحية منطقية يكون بضمير المتكلم (نحن)، باعتباره البنية الدالة على انفراده بالعروبة، والمكون للبنية الكبرى والتي هي جواب عن المحتل، ودرس أوصى المتكلم بتسجيله، وهي توحي دلالة سيميائية على تشتت العرب واتباعهم العنصريات كأنه يقول للمحتل: سبب وجودك هنا أني عربي ولكننا لسنا عرباً[1]».

أ – 2– صورة الآخر:

فالآخر هو كل ما يقع خارج نطاق الأنا سواء كان شخصا آخر أو جماعة أو ثقافة مختلفة، وبمعنى آخر؛ أن الآخر هو ما يختلف عن الأنا وليس جزء منه. تتجلى صورة الأخر في قصيدة بطاقة هوية كتهديد للهوية العربية وكجماعة مغايرة تثير الصراع والمواجهة مما يدعو الشاعر لرفض الذوبان فيه والتأكيد على هويته العربية المعادية للآخر ويمكن رصد تجليات "الآخر" بشكل واضح فيما يلي:

أن الآخر يشكل تهديدا للهوية العربية، فالشاعر شعر بأن هويته العربية مهددة من قبل الآخر المختلف، بقوله:

سلبت كروم أجدادي

وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا ولكل أحفادي

[1] أحمد شلبي، مقال المنهج الثقافي في دراسة أدب المقاومة –قصيدة بطاقة هوية– للشاعر محمود درويش أنموذجا، الجامعة الهاشمية صفحة فيسبوك: بيت فلسطين للثقافة، تاريخ النشر: 17 مايو 2020.

سوى هذه الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم كما قيلا؟

كما يرى الشاعر أن هناك محاولات من قبل الآخر لإنكار وتجاهل هويته العربية فجاءت القصيدة كلها كاعتراض منه على ادعاءات إسرائيل حكومة وشعباً أنه لا أحد في فلسطين سوى اليهود.

أ-3 -الصراع بين الأنا والآخر:

يتجلى نسق الصراع بين الأنا العربي والآخر المختلف (اليهودي) على مستويات الهوية والانتماءات والمواقف والسيطرة والتمايز، وهذا الصراع يعد محوريا في تشكيل وتأكيد الهوية العربية للشاعر ويمكن شرح هذه المستويات كالآتي :

-صراع الهويات: ينشأ بين الهوية العربية (أنا) والهويات المغايرة (الآخر) حيث رآها الشاعر تهديدا لتميزه وانفرادية هويته.

-صراع الانتماءات: يدور هذا الصراع بين انتماء الشاعر للجماعة العربية (أنا) والانتماءات الأخرى المختلفة.

-صراع المواقف والتوجهات: يتخذ الشاعر موقف المواجهة والدفاع اتجاه الآخر المختلف، بينما يتبنى الآخر مواقف وتوجهات مغايرة قد تهدد هذه الهوية، و تعمل على طمسها.

-صراع الهيمنة والسيطرة: يسعى الشاعر إلى فرض هيمنته على الآخر، كعربي ذو صفات ذاتية صلبة لا تقهرها الظروف والمآسي. بينما يسعى الآخر في تحقيق السيطرة على الشاعر وإنكار هويته بالاستحواذ على أرضه وأرض أجداده وجعله مهمشا أو هامشا فيها.

وتظهر هذه الصراعات جلية في المقطعين الأخيرين للقصيدة وفي كلمة: "فهل تغضب" المتكررة في كل مقاطعها.

وبهذا شكل الشاعر هويته كممثل للشعب الفلسطيني والعربي من خلال الصراع والمقاومة ضد محاولات الهيمنة والطمس من الآخر.

ب – نسق الفحولة والقبلية:

يرى الغذامي أن الشعر العربي الحديث هو امتداد للشعر العربي القديم الذي تحكمه عيوب نسقية وذلك من خلال علاقة الشاعر بمحيطه، إما علاقة تكسب أو له علاقة بالسلطة أو بالاعتماد على تجارب القدامى[1].

وبتطبيق هذه الرؤية للغذامي نرى أن صاحب هذه القصيدة تربطه علاقة بتجارب الشعراء القدامى من الناحية الشكلية والموضوعية، فيمكن التماس هذا الأخير في طغيان نسق الفحولة والتعصب للقومية (القبلية) في قصيدته هذه، والذي يظهر كالآتي:

ب–1– نسق الفحولة:

يمكن رصد هذا النسق في النص من خلال التأكيد على الهوية الذكورية في قوله: "أنا عربي"، حيث تبنّى لغة قوية وحازمة في التعبير عن هوتيه، كما تجلى في اتخاذه موقف الدفاع عن هويته وحقوقه كرجل عربي في مواجهة الآخر المختلف، كما يظهر استعداده للدفاع عن نفسه وعن هويته وصد أي تهديد أو إنكار لهما.

ب – 2 – نسق القبيلة (العصبية):

يتجلى نسق القبيلة في القصيدة من خلال التأكيد على الانتماء والولاء القبلي والجماعي والتضامن والافتخار بالكرامة والشرف العربي، والتي سيتم شرحها كما يلي:

– الانتماء القبلي: يتجلى في تأكيد الانتماء والتعصب لعروبته من خلال قوله "سجّل أنا عربي"، وما شابهها من عبارات التأكيد على عروبته، وينطلق من هذا الانتماء القبلي في التعبير عن هويته وحقوقه.

[1] حازم هاشم، الأنساق الثقافية في الشعر المعاصر، مداخلة في ملتقى اتحاد الأدباء والكتاب في النجف الأشرف، youTube، تاريخ النشر 05/ 11/ 2017، نقلا عن عبد الله الغذامي.

– الولاء والانتساب: حيث يظهر الولاء والانتساب للجماعة العربية القبلية، وللشيوعية المتطلعة للمساواة والديمقراطية.

–الجماعية والتضامن: يتبنى منظور جماعي قبلي يعبر عن روح التضامن والتماسك داخل الجماعة العربية ويؤكد ذلك في قوله:

وكل رجالها في الحقل والمحجر

يحبون الشيوعية

وفي قوله: وأرضا كنت أفلحها

أنا وجميع أولادي

من خلال بحثنا في الأنساق الثقافية المضمرة لهذه القصيدة والتي تجسدت في نسق الفحولة والقبلية والهوية، نستنتج أن الشاعر محمود درويش متشبث بعروبته وموطنه رغم ما عاناه من تشتت وتهميش بانتسابه لهذه العروبة. وهذا ما يجسد نسق التعصب للقبيلة والعصبية المترسخ في الشعر العربي القديم.

ثانيا: الأنساق اللغوية:

أبرز ما يشدنا في شكل القصيدة هو النسق اللغوي، الذي يعد الركيزة الأساسية التي تهيئ القارئ لاستقبال الجمل الشعرية، فقد عده الباحثون مفتاحا لمغاليق النص، والتعمق في شعابه التائهة، كما أنه الأداة التي بها يتحقق اتساق النص، وقراءة الأنساق اللغوية المضمرة في هذه القصيدة من خلال الظواهر اللغوية الآتي ذكرها:

1 –الإحالة:

نجد الشاعر ابتدأ بجملة "سجل أنا عربي" فنجده يخاطب الآخر بلغة التحدي مستخدما الفعل المضعف ليدل على المبالغة والتأكيد على هويته العربية.

كما أن حركة الضمائر المستعملة فيها تنوعت بين المتكلم والمخاطب والغائب، وإن دلت على شيء فإنما لها دلالة نسقية تجسد الصراع بين الأنا والآخر، والثنائية الضدية بين

الذات الفردية للشاعر والذات الجماعي، ولعل طغيان الضمير المتكلم "أنا" في القصيدة له دلالة نسقية مضمرة والمتمثلة في نسق الهوية المتجذرة في شعر محمود درويش.

ومن خلال تتبعنا للإحالات في القصيدة وجدناها في أغلبها قبلية، (إحالة على السابق) ارتبطت بالزمان والمكان، وذلك لإثبات الأحقية في الوجود على هذه الأرض، فتحمل تحتها دلالة نسقية ذات بعد تاريخي وتراثي، ومثال ذلك قوله:

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

وقبل ترعرع العشب

والنوع الآخر من الإحالات إحالة بعدية (إحالة على اللاحق)، ومن ذلك قوله... ولم تترك لنا... ولكل أحفادي...فهي تحمل في طياتها دلالة الاستمرارية والبقاء والصمود والتحدي.

2 – الحذف:

إن المتأمل لهذا النص سيجد الشاعر قد حذف بعض كلمات النص، وجعل القارئ يفكر في إتمام المعنى والوصول للدلالة... وهذا الحذف لم يكن عشوائيا وإنما قدّم للنص إضافات من متلقيه، وهذه بعض الأمثال:

في المقطع الأول :

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم ... سيأتي بعد صيف

نجد الشاعر وضع علامة الترقيم "..." للدلالة على أن عدد الأطفال لا يمكن حصره يا عدوي، فحمل الحذف دلالة الكثرة، والاستمرارية، وفي المقطع الثاني:

أسل لهم رغيف الخبز

والأثواب والدفتر

من الصخر...

ودليل ذلك أنه لم يستسلم وسيكافح من أجل أبنائه وسيستنزع لهم لقمة الخبز من أي مكان.

وفي المقطع الثالث:

وقبل السرو والزيتون

...وقبل ترعرع العشب

يريد إثبات أن الأرض ملك لشعبه منذ القدم[1].

3 -العطف:

إذا تتبعنا حالات العطف الواردة في النص. وجدنا أن أداة العطف الواردة في النص كانت الواو بعطف جملة عن جملة مثالها:

سجل

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم ... سيأتي بعد صيف

...

والأثواب والدفتر....

وأرضا كنت أفلحها

وبيتي كوخ ناطور

[1] ينظر: علي زائري، قراءة في قصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش في ضوء نحو النص، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة) العدد الخامس والعشرون، مارس2016، ص:131-134.

فالعطف جعل من كلمات وجمل النص نسقا متصلا، وكأنها كل متكامل. وقد ربط الشاعر المقاطع الخمسة الأولى بالواو، وبالمقطع الأخير عند استخدام "إذن" التي كانت نهاية وخاتمة لهذه البطاقة وكانت عبارة عن خلاصة القول لهذا الآخر الذي تجبّر وسلب واحتل أرضه...، فكان استخدام "إذن" نتيجة حتمية في أفعاله[1].

4- التكرار:

نجد التكرار ظاهرة بارزة في هذه القصيدة، من أولها لآخرها فنجد ذلك فيما يلي:

-جملة (أنا عربي) تكررت ستة مرات بذلك كانت مع بداية كل مقطع تحمل دلالة جديدة، ففي المقطع الأول حملت التسجيل ورقم البطاقة وعدد الأطفال، وفي المقطع الثاني حملت تسجيل مهنة العمل في الفلاحة والمحجر، و في المقطع الثالث التسجيل لمكان الولادة وبأنهم الأقدم وهذه الأرض أرض الآباء والأجداد وأنّ جذوره فيها رست قبل ميلاد الزمن و كذلك المقطع الرابع، أما في المقطع الخامس فقد حملت كلمة "سجل" طابع الإدانة فأنتم من سلبتم أرض أجدادي... ، وفي المقطع الأخير حملت التهديد في فحواها، فنجد كلمة سجل مخاطبة للآخر في تحدّ وصمود[2].

وخلاصة هذا القول أن جملة "سجل أنا عربي" حملت في طياتها عدة دلالات نسقية تختلف من مقطع لآخر، ففي المقطع الأول حملت نسق الذات العربية بمواصفاتها الجينية، أما في المقطع الثاني فحملت نسق المكان، والنسق الطبقي بوصفه للمكان الذي يعيش فيه وطريقة معيشته المزرية هو والطبقة الكادحة معه، وفي المقطع الثالث حملت نسق التاريخ والموروث الثقافي العربي المتجذر من قبل ميلاد التاريخ، كما كشفت في المقطع الخامس الصراع بين الأنا والآخر الذي هو من أجل الأرض والذي يكمن في نسق صراع الهويات والطبقات، وفي المقطع السادس جسدت الطابع الثوري والنضالي للشاعر ولقصيدته.

- كما تكررت جملة (أنا اسم بلا لقب) مرتين، ليثبت أنه مواطن عادي وصاحب مبدأ.

---

[1] ينظر: علي زائري، المرجع السابق، ص:136.

[2] ينظر: علي زائري، المرجع نفسه، ص:137-138.

– إن تكرار ظرف الزمان "قبل" في المقطع الثالث خمس مرات إثباتا لأحقيتة في الأرض منذ القدم، تحمل دلالة نسقية تاريخية.

–يتضح تكرار السؤال البلاغي (هل تغضب؟!) في القصيدة لتحقيق دلالات بلاغية وفنية ونسقية مهمة منها إثارة الانتباه والتأكيد على العاطفة والتعبير عن السخرية ورفض الآخر.

– كما نجد ضمير المتكلم (أنا) قد تكرر عشر مرات، قصد إثبات الذات والهوية من أجل إثبات حق الشعب، فهو عبّر عن الأنا الجماعي بصوت الأنا الفردي، وهي ثنائية ضدية.

– كما تكرر ضمير المتكلم (الياء) في القصيدة 16 مرة في قوله: (أطفالي، بطاقتي، أبي، جدي، منزلتي، أولادي، أحفادي، مغتصبي، جوعي)، فأفاد تكرار هذا الضمير استمرارية فرضت على النص وحدة الاتصال، فخلى الخطاب النصي من الانقطاع والفجوات ونجد أن هذا الضمير قدم سلسلة ممتدة في النص من جذوري إلى أجدادي إلى أبي إلى أولادي وأطفالي إلى أحفادي ... وكلها مرتبطة بعنواني وبيتي. [1]

وخلاصة ما تقدم نستنتج أنا لغة القصيدة حملت دلالات نسقية مختلفة، منها نسق مركزي يتمثل في نسق الهوية المهمّشة، والذي عبر عن هوية إنسان مضطهد سلبت أرضه فيحاول الوقوف في وجه عدوه الغاصب، كما تجلت عدة هويات أخرى منها نسق الأنا والآخر، ونسق الطبقية، إضافة إلى نسق المكان والزمان والتاريخ.

[1] ينظر: علي زائري، المرجع السابق، ص:137–138.

خاتمة

بعد دراستنا في هذا البحث لمنهج النقد الثقافي، والتعرف على آلياته في تحليل الخطاب الأدبي، وقراءته للنصوص والخطابات قراءة ثقافية تربطها بسياقاتها الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي أنتجتها، وعبر تطبيقنا لهذه الآلية على نص قصيدة بطاقة هوية توصلنا إلى النتائج الآتي ذكرها:

1_ أن النسق الثقافي هو مصطلح نقدي حديث انبثق من نظرية النقد الثقافي ما بعد الحداثة.

2 _أن النقد الثقافي منهج نقدي حديث النشأة، ظهر في أوربا في تسعينات القرن العشرين، يعنى بدراسة النصوص والخطابات من خلال ربطها بسياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي.

3-كما أن النقاد العرب بين مؤيد لهذ المنهج ومعارض له. فأما المؤيدين فغلبت على كتاباتهم الجانب التنظيري لهذا المنهج، في حين استعصى الجانب التطبيقي على معظمهم.

4_ تعد الأنساق الثقافية مصطلح نقدي، وليد المنهج الثقافي، ويعتمد عليه هذا الأخير في تحليله للنصوص، كما أن الأنساق الثقافية هي مجموعة من الترسبات الثقافية، تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية للفرد، متكونة من نظم ثقافية متعددة منها: (الاجتماعية والدينية والعادات والتقاليد والمعتقدات.....الخ)، تكون كامنة في ذهنية الفرد تظهر في خطاباته وأعماله الفنية والأدبية بقصد منه أو دونما قصد. كما تعددت موضوعات الأنساق الثقافية ومجالاتها بين السياسي والثقافي والتاريخي و..الخ.

5_ تظهر قصيدة بطاقة هوية خطابا شديد اللهجة من أنا الشاعر إلى الآخر، كما تضمر الثنائية الضدية بين الأنا والآخر، والذات الفردية للشاعر والذات الجماعية العربية، وهذا كله يخفي تحته صراع الهويات والطبقات، والتي تعتبر أنساقا سياسية وإيديولوجية راسخة في ذهنية الشاعر.

6_ تعد ثنائية الأنا والآخر المتمثلة في نسق الفحولة والقبلية آليات نسقية فاعلة لدراسة الأنساق الثقافية المضمرة في قصيدة بطاقة هوية.

7 _تعتبر الظواهر اللغوية المتكونة من التكرار والحذف والعطف آليات نسقية تضمر وراءها أنساقا ثقافية لغوية.

8 _ أن آليات النقد الثقافي وأدواته الإجرائية في تحليل النص الأدبي ليست جديدة تماما على النقد العربي، إنما هي موجود ضمن المناهج القديمة للنقد الأدبي، وهي مجسدة في مقولة الشعر ديوان العرب، كما أنها موجودة ضمن المنهج السيميائي الذي سبق النقد الثقافي للكشف عن البنى العميقة في النص الأدبي.

9_ أن القراءة الثقافية للنصوص تعد قراءة نسبية غير ثابتة، تختلف من قارئ إلى آخر، وتخضع لثقافة المتلقي.

وفي نهاية بحثنا هذا نحمد الله تعالى الذي وفقنا إلى إتمام هذا العمل، كما نسأله العون والسداد في جميع أعمالنا والله ولي التوفيق.

الملاحق

ملحق: قصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش

سجِّل

أنا عربي

ورقمُ بطاقتي خمسونَ ألفْ

وأطفالي ثمانيةٌ

وتاسعهُم.. سيأتي بعدَ صيفْ!

فهلْ تغضبْ؟

سجِّلْ

أنا عربي

وأعملُ مع رفاقِ الكدحِ في محجرْ

وأطفالي ثمانيةٌ

أسلُّ لهمْ رغيفَ الخبزِ،

والأثوابَ والدفترْ

من الصخرِ

ولا أتوسَّلُ الصدقاتِ من بابِكْ

ولا أصغرْ

أمامَ بلاطِ أعتابكْ

فهل تغضب؟

سجل

أنا عربي

أنا اسم بلا لقبِ

صَبورٌ في بلادٍ كلُّ ما فيها

يعيشُ بفَوْرةِ الغضبِ

جذوري

قبلَ ميلادِ الزمانِ رستْ

وقبلَ تفتّحِ الحقبِ

وقبلَ السّروِ والزيتونِ

.. وقبلَ ترعرعِ العشبِ

أبي.. من أسرةِ المحراثِ

لا من سادةٍ نُجُبِ

وجدّي كانَ فلاحاً

بلا حسبٍ.. ولا نسبِ!

يُعَلّمني شموخَ الشمسِ قبلَ قراءةِ الكتبِ

وبيتي ’ كوخُ ناطورٍ

منَ الأعوادِ والقصبِ

فهل تُرضيكَ منزلتي؟

أنا اسم بلا لقبِ!

سجلْ

أنا عربي

ولونُ الشعرِ.. فحميٌّ

ولونُ العينِ.. بنيٌّ

وميزاتي:

على رأسي عقالٌ فوقَ كوفيّه

وكفّي صلبةٌ كالصخرِ...

تخمشُ من يلامسَها

وعنواني:

أنا من قريةٍ عزلاءَ منسيّهْ

شوارعُها بلا أسماء

وكلُّ رجالها في الحقلِ والمحجرْ

فهل تغضبْ؟

سجِّل!

أنا عربي

سلبتُ كرومَ أجدادي

وأرضاً كنتُ أفلحُها

أنا وجميعُ أولادي

ولم تتركْ لنا.. ولكلِّ أحفادي

سوى هذي الصخورِ...

فهل ستأخذُها

حكومتكمْ.. كما قيلا!؟

إذنْ

سجِّل.. برأسِ الصفحةِ الأولى

أنا لا أكرهُ الناسَ

ولا أسطو على أحدٍ

ولكنّي.. إذا ما جعتُ

آكلُ لحمَ مغتصبي

حذارِ.. حذارِ.. من جوعي

ومن غضبي!!

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

اولا: المعاجم والقواميس:

1. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، مادة: ثقف، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979
2. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003.

ثانيا: المصادر والمراجع:

1. أرثر أيزابرجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، دار المجلس الأعلى للثقافة.
2. جميل حمداوي، نحو نظرية أدبية ونقدية جديدة (نظرية الأنساق المتعددة)، المكتبة الشاملة الذهبية، ط1، 2006.
3. حيدر توفيق بيضون، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1991 لبنان.
4. خالد حوير الشمس، النسق الثقافي وأثره في البناء النصي النثري الصوفي، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمان 2021.
5. رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، ط2، د ت.
6. رعد مهدي رزوقي- جميلة عيدان سهيل، التفكير وأنماطه، ج2، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، 2018.
7. سامر محي الدين، روائع من قصائد محمود درويش (حياته وشعره)، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
8. سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي- إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، مراجعة وتعليق: سمير الشيخ، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

9. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي " النقد "، دار المعارف، ط5، القاهرة.

10. ضياء الكعبي، السرد العربي القديم الانساق الثقافية واشكالية التأويل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 2005.

11. عبد الله الغذامي– عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، ط1، 2024.

12. عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998.

13. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربية، ط3، دار البيضاء، بيروت.

14. عز الدين مناصرة، النقد الثقافي المقارن منضور جدلي تفكيكي، وزارة الثقافة، ط1، عمان، الأردن، 2005.

15. فلاح محمد محمود، الشخصية في ضوء مجموعة العشب القصيصة لأنور عبد العزيز، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2020.

16. محمد عبد المعبود موسى، علم الاجتماع عند تالكوتيار سونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي دراسة تحليلية نقدية، مكتبة العليقي الحديثة، ط1.

17. محمود درويش، الديوان (الأعمال الأولى)، ج1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2005.

18. محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، الأهلية للنشر والتوزيع، 2008.

19. ميجان رويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، بيروت، 2002.

20. ياسين كني، عبد الله الغذامي ناقدا ثقافيا، حروف منثورة للنشر الالكتروني، 2016.

21. يوسف عليمات، النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتاب الحديث، ط1، عمان، 2009.

22. يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجا، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 2012.

ثالثا: المذكرات:

1. ريمة سمغولي، رميسة زرفة، الأنساق الثقافية في رواية الساق فوق الساق في ثبوت رؤية هلال العشاق لأمين الزاوي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019/2018.

2. لعمري عزيزة، بيطام مريم، الأنساق الثقافية في ديوان جرس السماوات تحت الماء، مذكرة لنيل شهادة الماستر، أدب حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021.

3. مبارك بحير– محي الدين شيتور، الأنساق الثقافية في شعر تميم البرغوثي قصيدة "في القدس" نموذجا، مذكرة تدخل في متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2022..

ثالثا: المقالات:

1. حازم هاشم، الأنساق الثقافية في الشعر المعاصر، مداخلة في ملتقى اتحاد الأدباء والكتاب في النجف الأشرف، youTube، تاريخ النشر 05/ 11/ 2017.

2. زكرياء محمد، مقال –سجل أنا عربي–، القصيدة التي طاردت صاحبها، مؤسسة الدراسات العلمية، تاريخ النشر، الخميس 09 آب 2018، تاريخ الاطلاع 01 ماي الساعة 10:00 صباحا، بتصرف، ss–foundation.com

3. سلام رحال، أنواع الأنساق الثقافية، مقال، موقع الموضوع: https://mawdoo3:com

4. صورية جغبوب، النقد الثقافي: مفهومه – حدوده – وأهم رواده، مقال، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الأول، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة عباس لغرور، خنشلة، د ت.

5. علي زائري، قراءة في قصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش في ضوء نحو النص، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة) العدد الخامس والعشرون، مارس2016.

6. مجلة نزوى، حوار مع محمود درويش، تاريخ النشر 01 يناير 2002، تاريخ الاطلاع 01 ماي 2024، الساعة: 10 صباحا، بتصرف nizwa.com.

7. مسعود عمشوش، النقد الثقافي والنقد الأدبي، مقال، مأرب بريس.

8. أحمد شلبي، مقال المنهج الثقافي في دراسة أدب المقاومة –قصيدة بطاقة هوية– للشاعر محمود درويش أنموذجا، الجامعة الهاشمية صفحة فيسبوك: بيت فلسطين للثقافة، تاريخ النشر: 17 مايو2020.

9. أسماء أبو حديد، تحليل قصيدة أنا عربي، مقال، http://mowdoo3.com،2023/08/22.

10. اسماعيل حلياص حمادي– إحسان ناصر، النقد الثقافي مفهومه ومنهجه إجراءاته، مجلة كلية التربية، العدد:13، جامعة العراق العراق، 2013.

رابعا: المواقع الألكترونية:

1.التفسير الميسر، https://surahquran.com.

2.محمد صخري، مفهوم النسق السياسي، مقال، تاريخ النشر:29-03-2021، للدراسات السياسيةPOLITICS-DZ.

3.وكالة أنباء البحرين، الشاعر محمود درويش 11 عاما على رحيله، مقال، 08 أغسطس2019، تاريخ الإصدار: 04:23.

4.الويكيبيديا، موقع إلكتروني.

الفهرس:

مقدمة.....ج

الفصل الأول: ماهية الأنساق الثقافية3

المبحث الأول: مفهوم النقد الثقافي:.....18

المطلب الأول: تعريف النقد الثقافي:.....18

أولا: تعريف النقد لغة واصطلاحا:.....18

ثانيا: تعريف الثقافة لغة واصطلاحا:.....19

المطلب الثاني: مفهوم النقد الثقافي:.....20

أولا: مفهوم النقد الثقافي كحركة نقدية:.....21

ثانيا: مفهوم النقد الثقافي كمصطلح نقدي:.....24

المبحث الثاني: ماهية الانساق الثقافية:.....26

المطلب الأول: مفهوم الأنساق الثقافية:.....27

أولا: تعريف الأنساق:.....27

ثانيا: مفهوم الأنساق الثقافية كمصطلح نقدي:.....28

المطلب الثاني: أنواع الانساق الثقافية وموضوعاتها:.....29

أولا: أنواع الأنساق الثقافية:.....29

ثانيا: موضوعات الأنساق الثقافية:.....32

الفصل الثاني: تجليات الأنساق الثقافية في قصيدة بطاقة هوية.

المبحث الأول: التعريف بالشاعر وقصيدته:.....37

المطلب الأول: التعريف بالشاعر "محمود درويش":.....37

أولا: مولده ونشأته:.....37

1-مولده:.....37

2- معاناته مع الاحتلال:.....38

3- أهم المناصب التي شغلها:.....39

4- وفاته:.....39

ثانيا- أهم أعماله:.....40

1- مؤلفاته الشعرية:.....40
3- الجوائز المتحصل عليها: 41
المطلب الثاني: التعريف بقصيدة "بطاقة هوية":.....41
أولا: ظروف كتابتها ومدى تأثيرها في العامة:.....42
1-ظروف كتابتها:.....42
2-مدى تأثيرها في العامة:.....43
ثانيا: شرح القصيدة وجوها العام:.....44
1-شرح القصيدة:.....44
2-جوها العام:.....49
المبحث الثاني: تجليات الأنساق الثقافية في قصيدة "بطاقة هوية": 50
المطلب الأول: الأنساق الظاهرة في قصيدة "بطاقة هوية":.....50
أولا- الأنساق الشخصية والذاتية الظاهرة:.....50
ثانيا - الأنساق الاجتماعية الظاهرة:.....51
ثالثا: الأنساق السياسية والتاريخية:.....51
المطلب الثاني: الأنساق المضمرة في قصيدة "بطاقة هوية ". 52
أولا: الأنساق الموضوعية: 52
1-الأنساق الثقافية المضمرة على مستوى العنوان:.....52
2 - الأنساق الثقافية المضمرة على مستوى المتن:.....53
ثانيا: الأنساق اللغوية:.....57
1 -الإحالة: 57
2 - الحذف:.....58
3 -العطف: 59
4- التكرار:.....60
خاتمة.....62
الملاحق.....65
ملحق: مقصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش » بطاقة هويةحمود درويش » بطاقة....66
قائمة المصادر والمراجع.....69

الفهرس:.....74
ملخص البحث:.....77

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على منهج النقد الثقافي ومعرفة آلياته في قراءة و استنطاق النصوص والخطابات، كما نسعى من خلالها إلى تطبيق هذه الآليات على قصيدة "بطاقة هوية" للشاعر "محمود درويش" للكشف عن الأنساق الثقافية الظاهرة والمضمرة فيها، من خلال ما تحمله من خصائص بلاغية جمالية، انطلاقا من الإجابة عن الإشكالية الآتية: ماهي الأنساق الثقافية التي تضمنتها قصيدة "بطافة هوية" "للشاعر محمود درويش"؟، إذ تطرقنا في بحثنا هذا إلى مفهوم النقد الثقافي والنسق الثقافي، وكذا التعريف بالشاعر وقصيدته لتكون لنا بعد ذلك وقفة مع قراءة الأنساق الثقافية في هذه القصيدة .

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية – قصيدة – بطاقة هوية – محمود درويش.

Abstract:

This study aims to identify the approach of cultural criticism and to know its mechanisms in reading and interrogating texts and discourses. We also seek through it to apply these mechanisms to the poem “Identity Card” by the poet “Mahmoud Darwish” to reveal the apparent and implicit cultural patterns in it, through the meanings it contains. Aesthetic rhetorical characteristics, based on the answer to the following problem: What are the cultural patterns included in the poem “With Identity” by the poet Mahmoud Darwish? In this research, we touched on the concept of cultural criticism and the cultural pattern, as well as introducing the poet and his poem, so that we can then pause with Reading the cultural patterns in this poem.

Keywords: cultural patterns - poem - identity card - Mahmoud Darwish.